د/ مصطفى محمود .. إلى أين ؟

رد على مقاليه في فبراير وابريل ٢٠٠٠
وعلى الطبعة الثانية لكتابه "الشفاعة"

دكتور

عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي

أستاذ الحديث بجامعة الأزهر

دار الاعتصام

دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة
هاتف : ٧٩٥١٧٤٨ - ٧٩٤٤٧٤٨ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١
ص . ب : ٤٧٠ القاهرة - الرمز البريدى : ١١٥١،١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعـد :

فلقد نشرت جريدة « الأهرام » القاهرية عدة مقالات بقلم الدكتور مصطفى محمود فى الفترة من ٣/ ٤/ ١٩٩٩ إلى ١٢/ ٦/ ١٩٩٩ أنكر فيها شفاعة رسول اللَّه ﷺ للبشرية عامة ولأمته خاصة فى المحشر فما بعده ، وأنكر فى هذه المقالات (السنة النبوية) أيضًا .

وصدرت ردود كثيرة عليه ، منها كتابان لى ، ولم يستفد بهذه الردود ، وإنما جمع مقالاته هذه وأضاف إليها مقالاً أساء فيه إلى الإسلام أكثر ، وأصدر ذلك كتابًا بعنوان « الشفاعة » .

وعلى عادته فى عداوته الإسلام سكت فترة ، ثم أعاد طبع كتابه بشىء من التعديل ، لكنه التعديد الذى زاد الكتاب طعناً فى الإسلام .

وفى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠٠٠ كتب مقالاً بعنوان « كلمة هادئة » كان أسوأ من مقالاته السابقة ، أنكر فيه (السنة النبوية) ، وغالط كثيرًا فى تاريخها ، وصوّرها وكأنها علم ليس له رجاله ، وأخطأ فى حق كثير من العلماء .

إنه فى مقاله هذا - شأن مقالاته السابقة - خلط كثيرًا !!

والأمر الذى لا يحتمل فى هذا المقال هو أنه أخطأ فى حق اللَّه تعالى !!

وفى جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٤/ ٢٠٠٠ كتب مقالاً بعنوان « كلمة لأولاد العم » دندن فيه بما فى سابقه .

وهأنذا أرد على مقاليه ، قيامًا بما أوجبه اللَّه تبارك وتعالى على العلماء من البيان .

لقد كثرت الفتن ، منها ما يصدر من الأعداء ، ومنها ما يصدر ممن يتسمَّون بأسماء إسلامية !!

والكتابات المعادية للإسلام كثيرة ، ووسائل الإعلام تلقى بالشبهات على مسامع الأمة ، وهذه الشبهات قد تنطلى على غير المتخصصين فى العلوم الإسلامية ، فواجب على العلماء أن يُبَيِّنُوا ، وواجب على كل مسلم أن يكون واثقًا بدينه ، وإذا أشكلت عليه شبهة فليسأل العلماء فإنهم سيفنِّدونها ، وليقرأ فى موضوع هذه الشبهة ، فإنها سريعًا ستزول .

إن شبه أعداء الإسلام ليست شبهًا لها وجه ، وإنما هى افتراءات ومغالطات ، ولذا فإن من يفكر فيها قليلاً يعلم زيفها ، ومن يقرأ فى موضوعها يتحصن ضدها ، والله تبارك وتعالى قد بين عداوة الكفر للإسلام ، فقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (سورة الأنفال الآيتان : ٣٦ ، ٣٧) .

وفى هاتين الآيتين - بجانب بيان عداوة الكفر للإسلام - بيان أن عداوة الكفر للإسلام لن تضر الإسلام ، وإنما سيظل الإسلام الدين القويم السليم إلى قيام الساعة .

وبيَّن سبحانه وتعالى أنه يثَبِّت الصالحين على الحق ، ويحفظ لهم حقهم ، فقال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (سورة إبراهيم الآية : ٢٧) .

وإنى أسأل الله أن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يثبتنا على الحق ، دينه الإسلام ، وأن ينصر الإسلام وأهله ، وأن يوفقنا لما يرضيه .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (سورة هود الآية : ٨٨) .

عبد المهدى

٨ ذى الحجة ١٤٢٠ هـ
١٤ مـــارس ٢٠٠٠م

الرد على إنكارهم حديث أبى سعيد الخدرى :

نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ١٩ فبراير سنة ٢٠٠٠ فى صفحة ١٨ مقالاً للدكتور / مصطفى محمود بعنوان : « كلمة هادئة » ملأه بالمغالطات ، وحرصًا على وضع الأمور فى نصابها ، فإننى أوضح الأمر فى هذه المغالطات ، فأقول وبالله التوفيق :

• ذكر الدكتور مصطفى حديثًا من صحيح البخارى، وصحيح مسلم ، وادّعى أنه يتعارض مع (٣٥) آية !! ، وساق جزءًا من الحديث من البخارى ومسلم ، لكنه زوّر فيه !!

وبمشيئة الله تعالى أسوق الحديث أولاً .

ثم أُبَيِّنُ أنه لا يتعارض مع أى آية من القرآن الكريم .

وأُبَيِّنُ أيضًا أن كثيرًا من آيات القرآن الكريم تتفق مع هذا الحديث .

وأُبَيِّنُ أيضًا أن الصحابة كانوا يقرءون هذه الآيات مع الحديث لاتفاق الموضوع .

الحديث :

سأل الصحابة رسول الله ﷺ : « هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فأجابهم ﷺ : نعم ، ثم تحدث ﷺعن وصف القيامة ، وأن الله تبارك وتعالى يحيى الخلائق ، ويجمعهم فى مكان واحد ، ثم يدخل الكفرة جهنم ، ويبقى أهل لا إله إلا الله ، الصالح والطالح ، وهؤلاء يمرون على الصراط ، أما الصالحون فيعبرونه بسلام إلى الجنة ، وأما العصاة فيسقطون فى جهنم ، وهؤلاء يأذن الله بالشفاعة فيهم ، فيشفع فيهم النبيون ، والملائكة ، والمؤمنون فيقول الجبار : بقيت شفاعتى ، فيقبض قبضة من النار ، فيُخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة ، يُقال له ماء الحياة .

(أخطأ مصطفى محمود هنا ، فقال : فيضعهم فى نهر فى الجنة اسمه الريان ، والريان باب من أبواب الجنة ، وليس نهرًا ، الريان باب خاص بالصائمين ، أما الذى هنا فهو نهر اسمه نهر الحياة ، إنه نهر وليس بابًا) .

فينبتون فى حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل . . فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيُجْعل فى رقابهم الخواتيم ، فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن ، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه » [(١)] .

هذا هو الحديث ، ونظرًا لطوله لخصت الجزء الأول منه ، ثم ذكرت الجزء الأخير الذى يعترض عليه الدكتور مصطفى بنصه ، مع تصويب ما أخطأ فيه الدكتور مصطفى .

راح الدكتور مصطفى يقول : إن هذا الحديث يخالف صريح القرآن ، بل يناقض القرآن فى (٣٥) موقعًا ، يؤكد فيها القرآن أنه لا دخول للجنة إلا بعمل صالح ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .
(الأعراف : ٤٣)

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأحقاف : ١٤) .

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٣٢) .

يستدل الدكتور مصطفى بهذه الآيات على أن دخول الجنة لا يكون إلا بالعمل الصالح ، وبما أن الحديث فيه أن هؤلاء سيدخلون الجنة بلا عمل صالح ، فإنه يتعارض مع القرآن الكريم .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (١٣/ ٤٢٠، ٤٢٢) رقم (٧٤٣٩) ، ومسلم فى الإيمان (١/ ١٦٣ - ١٧٣) رقم (٢٩٩ - ٣٠٧) .

وأقول له بإيجاز : هذه الآيات واردة فيمن آمن ، وزادت حسناته على سيئاته فهؤلاء يدخلون الجنة دون سابق عذاب ، أما الحديث فهو فيمن آمن وزادت سيئاته على حسناته ، أو لم يعمل خيرًا قط ، غير أنه مؤمن ، وهذا هو الذى يتكلم عنه الحديث .

إن موضوع الحديث غير موضوع الآيات التى ذكرتها ، وعليه فلا تعارض .

وأجيب تفصيلًا فأقول :

١ - فرق بين الصالحين والعصاة : الناظر فى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية يتضح له أن الناس فى القيامة أربعة أصناف :

الصنف الأول : أُناس آمنوا ، وزادت حسناتهم على سيئاتهم . وهذا الصنف جاءت الآيات السابقة وغيرها تبين أنهم يدخلون الجنة دون سابق عذاب ، يدخلهم سبحانه الجنة برحمته ، ودرجاتهم فيها بأعمالهم ، هذا الصنف هو الذى قال الله فيه : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (القارعة : ٦،٧) ثقلت موازين حسناته ، فجعله الله فى جنته يعيش عيشة راضية .

وقال الله فيه أيضًا : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء : ١٢٢) .

الصنف الثانى : أُناس آمنوا ، وزادت سيئاتهم على حسناتهم ، وهذا الصنف بينت الآيات أن الله تعالى سيعاقبهم على سيئاتهم ، وأنه سبحانه سيثيبهم على إيمانهم ولن يظلمهم شيئًا .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٠) .

هذا الصنف بينت الآيات والأحاديث أنهم فى مغفرة الله ، وأن الله يُشَفِّع فيهم الصالحين من عباده ، من الملائكة ، والنبيين والصالحين .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣) .

وقال سبحانه : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ (البقرة : ٢٥٥) .

الصنف الثالث : أُناس كفروا بالله ، ولم يعملوا صالحًا ، وهذا الصنف ليس لهم إلا النار ، ولا خروج لهم منها ، والآيات صريحة فى هذا :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٠) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة : ٧٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء : ١٦٨ ، ١٦٩) .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥) .

وواضح من هذه الآيات أن هذا الصنف من أهل النار ، وخلودهم فيها خلود مؤبد ، ولا ولىّ ولا ناصر لهم .

الصنف الرابع : أُناس كفروا بالله ، وعملوا صالحًا ، وهؤلاء يجزيهم الله على أعمالهم الصالحة فى الدنيا ، وهم من أهل جهنم فى الآخرة ، ذلك أنهم ضيعوا السبب الأهم فى دخول الجنة ، وهو الإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ .
(الشورى : ٢٠)

إنهم عملوا أعمالاً لم يقصدوا بها وجه الله والدار الآخرة .

وقال سبحانه : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء : ١٨ ، ١٩) .

وقال سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (هود : ١٥ ، ١٦) .

وواضح من هذه الآيات أن الكافر يؤتيه الله من الدنيا ، ومهما يعمل من الصالحات كالصدقة وحسن المعاملة فهذا يعجل له جزاؤه فى الدنيا ، أما فى الآخرة فله جهنم ليس إلا .

وواضح من دراسة هذه الأصناف أن الإيمان هو السبب المقدم فى دخول الجنة ، ومعه تتأتى المغفرة والشفاعة ، وهذا ليس مدعاة للكسل ، فإن المسيء سيدخل جهنم فترة ، وهذا كاف لردع الإنسان عن المعاصى طيلة الحياة فلا طاقة لأحد على جهنم ولو لحظة .

إن الدكتور مصطفى ومن معه ممن يعادون السنة النبوية جاءوا إلى الآيات التى فى الصنف الأول وهم المؤمنون الصالحون فجعلوها فى الصنف الأول والثانى وهم الصالحون والعصاة ، وهذا خطأ مرده إلى عدم التخصص ، والجرأة على دين الله ، ومخالفة سبيل المؤمنين .

إنهم هنا يجعلون الآيات الواردة فى الصالحين عامة فى الصالحين والعصاة .

وفى مقالاتهم فى إنكار الشفاعة يذكرون الآيات الواردة فى الكافرين ويجعلونها فى المسلمين .. وهكذا يخلطون !!

ولو راجعوا أى كتاب من كتب أئمة الإسلام لوجدوا ذلك واضحًا لكنهم يحرصون على الفتنة .

٢ - لا تعارض بين الحديث والآيات :

ويدعى الدكتور مصطفى أن حديث أبى سعيد الخدرى ، والذى فيه أن الله يخرج أعدادًا من الموحدين من النار بمغفرته ، ويدخلهم الجنة ، يدعى أن هذا الحديث يتعارض مع الآيات التى فيها أن دخول الجنة بالإيمان والعمل الصالح .

وأقول له : لا تعارض، فأى تعارض بين حديث يفيد أن الله يخرج المؤمنين العصاة من النار برحمته سبحانه وتعالى وبين آيات تفيد أن الصالحين يدخلون الجنة من أول الأمر ؟

إن الآيات فى المؤمنين الصالحين ، أما الحديث ففى المؤمنين الذين لم يفعلوا خيرًا ، وعليه فلا تعارض إذ الموضوع مختلف ، ولا يقع التعارض إلا إذا كان الأمر واحدًا ، واختلف الحكمان فيه .

إن الحديث لم يُفد دخول العصاة الجنة ابتداءً مثل الصالحين ، وإنما أفاد أن العصاة يدخلون النار ، ثم يرحمهم الله ، فيخرجهم من النار ، ويدخلهم الجنة ، فلا تعارض ، ولا تناقض .

إن هؤلاء المؤمنين الذين دخلوا النار سيخرجون من النار ، وذلك للأسباب الآتية :

١ - مقتضى العدل الإلهى ، فالله الحكم العدل لا يسوى بين المؤمن والكافر ، يقول سبحانه : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم : ٣٥ ، ٣٦) .

٢ - إن هؤلاء المؤمنين الذين لم يعملوا خيرًا بجوارحهم ، فى قلوبهم خير ، فلقد كانوا يوحدون الله وعاشوا على توحيده سبحانه ، عاشوا

بقلب سليم ، قلب يؤمن بالله ، والقلب أهم جزء فى الجسم ، وقد قال الله تبارك وتعالى فى وصف الآخرة : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء : ٨٨ ، ٨٩) .

إن عقيدتهم سليمة فاقتضى العدل الإلهى ألاَّ يستمر فى النار ، وإنما يخرجهم الله بكرمه ومغفرته سبحانه وتعالى من النار ويدخلهم الجنة ، كما أخبر رسول الله ﷺ فى هذا الحديث .

٤ - الحديث فيه آية تقويه :

ذكر الدكتور مصطفى قدرًا من الحديث ، ولكنه لم يذكر الآية التى ذكرها أبو سعيد فى الحديث ، وهى متفقة مع الحديث تمامًا .

إن أبا سعيد الخدرى راوى الحديث ذكر آية تتفق مع هذا الحديث ، وهى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٠) .

وهذه الآية ذكرها أبو سعيد فى صلب الحديث ، فى رواية البخارى ، وفى رواية مسلم ، وهى تؤيد الحديث تمامًا ، فالمؤمن الذى مات على الإيمان ، لن يؤبد فى النار ، وإلا ضاع عليه إيمانه ، وهذا أمرٌ رَبُّنا منزه عنه فالله منزه عن الظلم .

إن المؤمن الذى هو موضوع حديث أبى سعيد الخدرى لم يعمل صالحًا ، لكنه آمن بالله ، فهو لم يعبد صنمًا ولا وثنًا ، وإنما آمن بالله وحده ، ومثل هذا لا يخلد فى النار ، ولا يضيع الله عليه هذه الخصلة العظيمة من خصال الخير ، ألا وهى الإيمان بالله ، وأنه سبحانه وتعالى هو الله لا إله إلا هو ، وأن محمدًا رسول الله أرسله الله بالدين الخاتم .

إننى أتساءل مع هذا الكاتب ، ومع كل منكرى السنة : ما مصير من نطق بالشهادتين ، ولم يعمل صالحًا قط ؟ أتراه يخلد فى النار كالكافر ؟!

لو قلت أيها الكاتب بهذا ، وأن من نطق بالشهادتين ولم يعمل صالحاً يخلد فى النار كالكافر لخالفت الآية التى ذكرها أبو سعيد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .
(النساء : ٤٠)

إن هذه الآية تتفق مع هذا الحديث الذى تنكره ، فالحديث يفيد أن الكفرة يدخلون جهنم ابتداء ، والمؤمنين الصالحين يدخلون الجنة ابتداء ، كل على حسب عمله ، فالجنة درجات ، أما المؤمنون الذين لم يعملوا صالحًا فهؤلاء يفيد الحديث أنهم يدخلون النار ، ثم يشفِّع الله فيهم الملائكة والنبيين والمؤمنين ، ومن بقى بعد ذلك شمله الله بمغفرته ، فأخرجه من النار وذلك لأنه كان مؤمنًا كان يقول : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ » .

إن الآية تفيد ما أفاده الحديث ، فالله لا يظلم الناس شيئًا ، فمن كفر فله النار ، ومن آمن وعمل صالحًا حتى غلبت حسناتُه سيئاته فله الجنة ، ومن آمن وغلبت سيئاتُه حسناته ، أو لم يعمل حسنات حوسب بتقصيره ولكنه بعد جزائه فى النار ، يصير إلى الجنة ، فالله لا يظلم الناس شيئًا .

آيات تقوى هذا الحديث :

وإنى وقد بينت أن حديث خروج العصاة من النار ودخولهم الجنة لا يتعارض مع آيات دخول الصالحين الجنة من أول الأمر ، إنى وقد بينت ذلك ، فإنى أذكر آيات تقوى هذا الحديث ، وتتفق معه فى موضوعه ، ألا وهى :

أولاً : آيات تفيد أن الإيمان هو الأصل فى دخول الجنة :

ففى القرآن الكريم آيات تفيد أن الإيمان هو الأصل فى النجاة من النار ، وهو الأصل فى بلوغ رضوان الله وجنته ، من ذلك :

• قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ

ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٢) .

والظلم فى هذه الآية معناه الشرك كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ (لقمان : ١٣) .

ومعنى الآية : أن المؤمنين الذين صفا إيمانهم ، ولم يَشُبْه شرك ، لهم الأمن والهداية ، فهم آمنون من كل مكروه وهم مهتدون إلى ما يرضى الله تبارك وتعالى .

ونلاحظ فى هذه الآية أن الجزء العظيم من الأمن والهداية إنما هو مبنى على الإيمان فقط ، وهذا يدل على أن الإيمان أصل لا يستهان به ، وعقيدة لها قدرها فى دخول الجنة .

• وقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ ﴾ (يونس : ٢)

ففى هذه الآية بشارة للمؤمنين بأن لهم السعادة والمنزلة الرفيعة عند الله تبارك وتعالى ، ونلاحظ أن ذلك مرتب على الإيمان ، مما يدل على قدر الإيمان ، وأنه أصل لا يستهان به .

• وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس : ١٠٣) .

بأصل الإيمان فقط ينجى الله المؤمنين ، بل ويجعل المؤمنين بالإيمان فقط مع الرسل ، ينجى الله الجميع ، مما يدل على رضوانه سبحانه وتعالى عن الجميع بذلك .

• وقوله سبحانه : ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ . (الفتح : ٥)

إن هذه الآيات تفيد أن الإيمان له قيمته ، وأنه يحصل به الأمان

والسعادة ، وتحصل به النجاة والولاية ، فإذا جاء حديث يبين أنه بالإيمان لا يبقى المؤمن فى النار ، وإنما يغفر الله له ، ويدخله الجنة ، فلا يصح الاعتراض على هذا الحديث ، فإن هذه الآيات تتفق معه .

إننى لا أنكر قدر العمل الصالح ، فقد جاءت به الآيات ، وبينتْ أنه يكون مع الإيمان مصدر دخول الجنة من أول الأمر ، فأنا لا أنكر قدر العمل الصالح ، وإنما أُعَرِّف بقدر الإيمان ، وأنه عقيدة اتفقت كل الآيات على أنها السبب الأول فى دخول الجنة ، فالإيمان أول ، والعمل الصالح تال ، فمن آمن فلن يؤبد فى النار ، وإنما يخرج منها ، ويدخله الله الجنة .

إن الدكتور مصطفى محمود وغيره من أعداء السُنَّة ينكرون قدر الإيمان ، ويجعلونه لا قيمة له ويركزون على العمل الصالح ، ويجعلونه السبب الأوحد لدخول الجنة ، ويتخذون ذلك تكأة لرد الحديث ، بينما هذه الآيات تتفق مع الحديث ، وتبين قدر الإيمان ، وبالتالى فهى تقوى الحديث ، ومن رد الحديث فقد رد هذه الآيات .

ثانيًا : آيات رتب الله فيها الخير الكثير على الإيمان :

ففى القرآن الكريم آيات كثيرة رتب الله فيها الخير الكثير على الإيمان ، مما يدل على قدر الإيمان ومكانته عند الله تبارك وتعالى من ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ . (البقرة : ١٣٧)

- وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (البقرة : ٢٥٧) .

• وقوله سبحانه : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾
(النساء : ١٤٧)

• وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء : ١٥٢) .

• وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (النساء : ١٧٥) .

• وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾
(محمد : ١١)

بالإيمان يتولى الله عباده ، فيرضى عنهم ويكرمهم .

وواضح من هذه الآيات أن عقيدة الإيمان لها قدرها، وأنها مصدر عظيم ، فبها الهداية والتوفيق من الله ، وبها يرحم الله ولا يعذب ، وبها تصح الأعمال ونؤجر عليها ، وبالإيمان يرحمنا ربنا، ويصلح أحوالنا .

إن نظرة مبدئية فى هذه الآيات ، والآيات السابقة تثبت أن الإيمان له قدره العظيم ، فلماذا يرفض البعض أن يكون الإيمان سببًا فى الخروج من النار ، ودخول الجنة ؟

ثالثًا : آيات تبين أنه بالإيمان يُطلب رضى الله :

ففى القرآن الكريم آيات كثيرة تفيد أن المؤمنين يتوسلون إلى الله تعالى بإيمانهم لبلوغ الكثير من غاياتهم ، من ذلك :

• قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾
(آل عمران : ١٩٣)

• وقوله سبحانه : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ .
(المائدة : ٨٣)

• وقوله سبحانه : ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ ،
(المائدة : ١١١)

• وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .
(المؤمنون : ١٠٩)

إن هذه الآيات توضح أن طوائف البشر تتوسل إلى الله بإيمانها ، وترجوه بهذه العقيدة أن يغفر لها ، وأن يتجاوز عن سيئاتها ، وأن يجعلهم من عباده الصالحين ، إنهم يسألونه جل علاه المغفرة والرحمة متذرعين لذلك بإيمانهم به ، فلِمَ ينكر البعض أن يكون الإيمان سببًا فى الخروج من النار ، ودخول الجنة ؟

رابعًا : آيات تبيـن أنه بالإيمان يرفع الله الدرجات فى الجنة :

ففى القرآن الكريم :

• قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (الطور : ١٧ - ٢٠) .

• ويقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور : ٢١)
﴿ وما ألتناهم ﴾ أى وما أنقصناهم .

إن المؤمن الذى يتبعه أولاده بالإيمان ، إذا كانت درجة الوالدين أعلى من درجة الأبناء فى الجنة ، فإن الله تبارك وتعالى يرفع درجة الأبناء إلى

درجة الآباء ، دون أن يخفض درجة الآباء ، وذلك لإيمان الآباء ، فبالإيمان دخل الجميع الجنة ، وبالإيمان جمع الله الشمل فى الجنة ، وألحق سبحانه وتعالى الأبناء بوالديهم ، كى تتم السعادة ، ويشملهم السرور .

ومقابل ذلك تجده فى القرآن الكريم ، فبدون الإيمان لا إلحاق ، ولا أى إكرام ، وإنما جهنم ، يقول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (التوبة : ١١٣) إنه مع الشرك لا يقبل استغفار .

ويقول سبحانه فى المنافقين : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٨٠) .

إن المنافق إنسان يضمر الكفر ، ومع الكفر لا ينفع استغفار ولا شفاعة ، أما الإيمان فبدون استغفار ، بل وبدون طلب يلحق الله الأبناء بالآباء ، فإنه الإيمان ، إنه صحة العقيدة ، إنه سلامة القلب .

خامسًا : آيات تثبت أن الله يغفر ذنوب الموحدين :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٨) .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١١٦) .

واضح من الآيتين أن الله لا يغفر ذنب المشرك ، فالمشرك مرتكب أعظم الذنوب إنه كافر بالله ، والمشرك ضال ، وضلاله خطير ، ضاعت منه عقيدة التوحيد ، فأفسد فى الكون ، وعاث فى الأرض فسادًا .

وواضح من الآيتين أيضًا : أن الله تعالى يغفر ذنب المؤمن مهما عظم ، وهذا عين ما أفاده الحديث الذى ينكره أعداء السُنَّة .

سادسًا : آيات تثبت أن النار للكفار :

وفى القرآن الكريم آيات تثبت أن النار إنما هى أصلاً للكفار ، إنها خلقت لهم وأعدت لتعذيبهم ، والجنة حرام عليهم لا يدخلونها ، إنهم كفروا بالله ورسوله ، إنهم ضاع منهم أصل الخير وهو الإيمان .

يقول الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣١) .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ ﴾ (المائدة : ٧٢) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٠ ، ٥١) .

إن هذه الآيات تفيد أن النار لم تخلق أصلاً للموحدين ، وبالتالى إذا نزلها العصاة فلفترة ، ثم يخرجهم الله منها بفضله سبحانه ومغفرته وهذا هو الذى يفيده الحديث .

فلِمَ يتنكر أعداء السُنَّة لهذا الحديث ، ولم يصرون على أن الجنة ليست للموحدين ؟

إن حديث أبى سعيد الخدرى والذى أخرجه البخارى ومسلم يفيد أن العصاة يدخلون النار لكن ماذا يفعل توحيدهم ؟

إنهم موحدون !! إنهم يقولون : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله !!

بيّن الحديث فائدة هذا التوحيد ، وأنهم وإن دخلوا النار لتقصيرهم فى

الطاعات فإنهم يخرجون من النار ببركة التوحيد ، ويدخلون الجنة ببركة التوحيد ، وهذا متفق مع هذه الآيات .

إن الآيات التى معنا هنا تفيد أن النار لم تخلق لهم ، ولم يخلقوا لها ، وإنما أعدت النار للكفار ، فلِمَ يُصِرُّ الدكتور مصطفى محمود ومنكرو السُنَّة على تأبيد العصاة فى النار وأنهم لا يخرجون منها ولا يدخلون الجنة ؟

إن الآيات السابقة تفيد صراحة أن الجنة محرمة على المشركين ، محرمة عليهم ، وكل ما فيها محرم عليهم ، محرم عليهم شربة ماء منها ، محرم عليهم أى شىء منها مهما قَلّ ، هذا فى المشركين الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا ، الذين لم يؤمنوا بما أنزل الله على رسوله ، وإنما جحدوا آيات الله .

إن الفارق كبير بين الكافر والمسلم العاصى .

فالكافر تَنكَّر لألوهية الله ، وتنكّر لربوبية الله للكون ، وتنكّر لوحى الله إلى رسوله .

أما المسلم العاصى فهو مُسَلِّم بالله ربًا ، وبمحمد رسولاً ، معترف بوحى الله إلى رسوله ، لكنه غلبته نفسه ، فلم يجتهد فى طاعة الله أو غلبه هواه ، أو رفاق السوء . إن قلبه سليم ، وعقيدته فى الله صحيحة ، فالفارق بينه وبين الكافر فارق جوهرى وعظيم ، فالتسوية بينهما فى النار خلل فكرى ، ومخالفة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

سابعًا : آيات تعطى المسلم الأمل فى رحمة الله :

وآيات أخرى فى القرآن الكريم تدفع فكر منكرى السُنَّة ، وتبطل قولهم بخلود المسلم العاصى فى النار ، هذه الآيات تحتم على المسلم أن يكون على أمل فى رحمة الله دائمًا ، لا يصح أن ييأس من رحمة الله ، ولا يصح أن ينقطع أمله فى كرم الله ، ولا يصح أن يرى ذنبه كبيرًا على مغفرة الله .

● يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا

نَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .
(الزمر : ٥٣)

تأمل قول الله « يا عبادى » أضافهم سبحانه لنفسه تشريفًا لهم لإيمانهم ، ومعنى « أسرفوا على أنفسهم » فعلوا كثيرًا من الذنوب ، ومعنى ؛ لا تقنطوا من رحمة الله » لا تيأسوا من رحمة الله .

وهذه الآية نص صريح فى مغفرة ذنب المسلم مهما عظم ، وأنه الله تبارك وتعالى يتجاوز عن السيئات مهما كانت ، فليكن المسلم على حال الرجاء لا ييأس من رحمة الله إذا زل قدمه ، وليسارع إلى التوبة لتحسن عاقبته .

• ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) .

و« رَوْح » معناه رحمة ، أى لا ييأس من رحمة الله إلا الكافرون ، ومفهوم ذلك أن المسلم لا ييأس من رحمة الله ، وإنما هو على حسن الظن بالله .

وهكذا تفيد الآيات أن المؤمن راج رحمة الله ، وعلى أمل أن يدخل الجنة ، إن هو استقام دخل الجنة من أول الأمر دون سابقة عذاب ، وإن قصر فإنه قد يعذب على تقصيره ، ولكن نهايته إلى جنة الله ونعيمه وهذا يدفع قول منكرى السُنَّة ، وأيضًا يقوى حديث أبى سعيد الخدرى الذى يرويه عن رسول الله ﷺ ، وأن الله يخرج عصاة المسلمين من النار ويدخلهم الجنة .

إنهم مؤمنون :

إن الصنف الذين يفيد حديث أبى سعيد الخدرى أنهم سيخرجهم الله من النار ويدخلهم الجنة هذا الصنف موحِّد ، ففى رواية أبى سعيد

الماضية يقول رسول الله ﷺ : « ... فوالذى نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم فى النار »[1] .

إنهم مؤمنون ، ومن هنا سيظل إخوانهم المؤمنون من أهل الجنة يرجون الله أن يرحمهم ، يرجون ويلحون حتى يَمُنَّ الله عليهم فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة .

وفى رواية أنس أن رسول الله ﷺ بعد أن يشفع أربع مرات يقول : « يا رب إيذن لى فيمن قال لا إله إلا الله » فيقول الله لرسوله : ليس ذاك لك ، ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى ، وجبريائى[2] لأخرجن من قال لا إله إلا الله »[3] .

وفى رواية أبى هريرة يقول صلى الله عليه وسلم : « ... حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله »[4] .

إن هذه النصوص مصرحة بأنهم يرحمهم الله بسبب إيمانهم ، بسبب عقيدتهم ، وأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، فهل بعد هذا يُقال إنهم يؤبدون فى جهنم ؟

---

(١) هذا اللفظ عند مسلم (١/ ١٦٧) رقم (٣٠٢/ ١٨٣) وعند البخارى (١٣/ ٤٢١) رقم ٧٤٣٩ .

(٢) سلطانى .

(٣) مسلم (١/ ١٨٤) رقم ٣٢٦ .

(٤) أخرجه البخارى فى التوحيد باب قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (١٣/ ٤١٩) رقم ٧٤٣٧ .

الله أكرم من ذلك ، الله أكرم من أن يُعذب موحدًا عذابًا مؤبدًا .

يقول رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع أهل النار فى النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، يقول الكفار : ألم تكونوا مسلمين ؟

قالوا : بلى .

قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا فى النار ؟

قالوا : كانت لنا ذنوب فأُخِذْنا بها ، فيسمع الله ما قالوا ، فأمر بمن كان من أهل القبلة فأخرجوا ، فلما رأى ذلك أهل النار قالوا : يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ، وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [١] .

(الحجر : ١ ، ٢)

واضح من هذا الحديث أنهم عذبوا بذنوبهم ، وأخرجوا بكرامة توحيدهم .

وواضح أيضًا أن الكفار فى النار يستغربون وجود المسلمين فى النار معهم ، فما بال أُناس أحياء لا يفهمون هذا ؟!

يقول الحافظ أبو بكر بن عمرو بن أبى عاصم (المتوفى سنة ٢٨٧هـ) :

« والأخبار التى حواها كتابنا هذا - من ذكر الخارجين من النار بعد كونهم فيها ، وما نالهم من أليم عذاب خالقهم بقدر ما استحقوا ، ثم يحثو الرءوف [٢] بفضل رحمته - أخبار ثابتة توجب العلم والإيمان بصحة ما أدت [٣] والتصديق به ، وإلى الذى مَنّ علينا بالإيمان والتصديق به ، ووفقنا له نبتهل أن يجعلنا من المتقين الذين ينجيهم منها بطَوْله ومَنِّه [٤] ،

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١/ ٥٨٢) رقم ٨٦٩ ، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٢) وصححه ، وأخرجه الطبرانى ، والطبرى ، والآيتان من أول سورة الحجر .

(٢) أى يخرج ربنا سبحانه وتعالى أعدادًا كبيرة من النار .

(٣) أى أفادت هذه الأحاديث .

(٤) أى بقدرته وإنعامه سبحانه وتعالى .

فإن أُدخلناها بجرمنا الذى استحققنا به دخولها ، أن يجعلنا ممن تدركه رحمته فيخرجه منها ، ولا يجعلنا قرناء شياطينها ، ولا الكفار الجاحدين له »[1] .

وإنى أؤمِّن على دعاء هذا الإمام ، وأسأل الله بوجهه الكريم الجنة وما قرب إليها ، وأعوذ بوجهه الكريم من النار وما قرب إليها . . اللهم آمين .

بطلان رفض الحديث :

وبعد أن فندت قول الدكتور مصطفى بالتعارض بين حديث إن الله يخرج من النار ناسًا يدخلهم الجنة برحمته ، وبين آيات دخول الجنة بالعمل ، بعد أن اصطنع هذا التعارض اصطناعًا ، وتكلفه كل التكلف .

بعد أن فندت هذا التعارض المدَّعَى، وبينت أن دخول الجنة إنما يكون ابتداء للصالحين ، أما العصاة الذين يتكلم عنهم الحديث ، فإنهم بعد فترة يمكثونها فى النار يخرجهم الله برحمته .

بعد ذلك أجد الدكتور مصطفى يقول : فإذا رفضنا هذا الحديث اتهمونا بإنكار السنة ، وإنكار الشفاعة (انتهى كلامه) .

وأرد بإيجاز فأقول :

١ - ليس من حق أحد رفض هذا الحديث ، فالحديث فى أعلى درجات الصحة ، وهو متوافق مع كثير من الآيات القرآنية ، ولقد ذكرتُ كثيرًا منها .

٢ - نحن لم نتهمك بإنكار السنة والشفاعة ، وإنما أنت الذى صرحت بهذا ، ففى آخر كتابك الشفاعة ادعيت أن الأمة عاشت فى أول

---

(١) اسم كتابه « السُّنة » ولقد ساق فيه باباً فى شفاعة النبى ﷺ (١/ ٥٢٦) إلى ص ٥٩٤ ، والكلام الذى سقته عنه هنا ص ٥٩١ .

أمرها بدون السنة فكانت قوية ، فلما ظهرت السنة ضاعت الأمة ، وادعيت أن القول بالشفاعة شرك .

وأرد تفصيلاً فأقول :

يقول الدكتور مصطفى : فإذا رفضنا هـذا الحديث (يقصد حديث أبى سعيد الخدرى ، والذى فيه : أن الله تبارك وتعالى يخرج من دخل النار من الموحدين ، ذلك أنهم كانت عقيدتهم سليمة ، لكنهم لم يعملوا صالحًا) .

وأقول له : ليس من حقك رفض هذا الحديث ، ولا من حق أى إنسان يحترم الحق ، وذلك للأسباب الآتية :

١ - الحديث ليس متناقضًا مع أى آية ، وإنما تؤيده آيات كثيرة ، سبق أن ذكرتُ كثيرًا منها ، إنكم أنتم الذين ادعيتم هذا التناقض ، فالآيات التى فى الصالحين تريدونها على العصاة ، وتعلون قدر العمل الصالح ، وتنكرون قدر الإيمان ، كل ذلك لاصطناع تعارض بين الحديث والآيات ، وذلك لإضاعة حديث صحيح ، بل متواتر ، وذلك لا يسلمه لكم أى دارس .

٢ - الحديث فى أعلى درجات الصحة ، فلقد أخرجه البخارى ومسلم ، ولقد اتفق علماء الأمة سلفًا وخلفًا على صحته ، بل قالوا : إنه فى أعلى درجات الصحة .

٣ - الحديث ليس صحيحًا فقط ، بل هو متواتر ، أى رواه جمع كثير فى كل طبقة من طبقات إسناده ، وتعددت طرقه ، وكثرت أسانيده ، فمن رفضه فإنما يرفض البدهيات والثوابت ، ومثل هذا خارج عن الملة ، أفتى بذلك علماء الأمة .

يقول الإمام العلامة الكتانى (متوفى ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م) :

« أحاديث عدم تخليد المؤمن العاصى فى النار وخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان »[١] .

• ذكر السيوطى وغيره أنها متواترة .

• وفى مطالع المسرات ما نصه : وأما العصاة من المؤمنين فالأحاديث فى عدم تخليد المؤمن العاصى فى النار زائدة على حد التواتر .

• قال الحافظ السيوطى فى (البدور السافرة) : « فقد رويناها من حديث أكثر من أربعين صحابيًا ، وسقناها فى كتابنا (الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة) » .

• وفى (رسالة الفرقان) لابن تيمية ما نصه : « وقد تواتر عن النبى ﷺ أنه يخرج منها - يعنى من النار - من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان » .

• وفى (عمدة القارى) : الأدلة القطعية قد دلت عند أهل السنة والجماعة أن طائفة من عصاة الموحدين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة .

• وفى الترمذى - بعد إيراد حديث عبادة بن الصامت : من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار - ما نصه : قال أبو عيسى : ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة ، وإن عذبوا بالنار بذنوبهم فإنهم لا يخلدون فى النار[٢] .

٤ - علماء الأمة على طول تاريخها على صحة هذا الحديث ، لم يعترض عليه أحد ولم يقل أحد بمناقضته للقرآن الكريم ، وما دام الإجماع

(١) هذا عنوان مبحث من مباحث كتاب الكتانى ، واسم الكتاب « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » .

(٢) نظم المتناثر ص ١٥٤ .

قد حصل على صحة هذا الحديث فلا يتأتى إنكاره إلا من جاحد أو معاند .

٥ - إن أعداء السُنَّة من أمثال الدكتور مصطفى ليس فيهم أحد - بفضل الله - من المتخصصين فى السنة ، وبالتالى فلا يحق لهم أن يعترضوا ، فكلامهم لا يعتد به ، فكل علم إنما يؤخذ من أهل تخصصه ، فضلاً عما هو معروف عنهم من مواقف عدائية للسُنَّة خاصة ، وللإسلام عامة .

٦ - إن أعداء السُنَّة حينما يرفضون هذا الحديث ، والذى فيه أن الله يرحم عصاة المؤمنين فإنما يرفضون عددًا كثيرًا من الأحاديث ، ويرفضون كثيرًا من الآيات القرآنية ، وقد ذكرت كثيرًا منها قبل ذلك .

فيرفضون قول الله : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .
(الزمر : ٥٣)

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (النساء : ٤٨) .

بل إن الذين يرفضون هذا الحديث يرفضون كل صفات الجمال الإلهى ، فيرفضون اسم الله « الغفور » و« العفو » و « الرءوف » و « الرحمن » و « الرحيم » .

فإذا لم تكن مغفرته لعصاة المؤمنين فلمن ؟

وإذا لم تكن رحمته لعصاة المؤمنين فلمن ؟

فجميع المؤمنين الصالحين إلى الجنة قد راحوا .

وجميع الكفار فى جهنم قد سقطوا .

ويبقى عصاة المؤمنين يشملهم عفوه سبحانه ، وتعمهم رحمته ، ويسعدون بمغفرته ، فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة .

٧ - إن هذا الحديث تداوله علماء الأمة مع آيات القرآن الكريم ، يرويه علماؤها ويشرحه جهابذتها ، ولم يُحْكَ عن أحد أنه حكم على هذا الحديث بالتعارض مع أى آية ، ومن هنا فلن نقبل قول أعداء السُنَّة فيه ، ولا عبرة بما يحاولونه من إقامة تعارض بينه وبين آيات القرآن الكريم .

وقد سبق أن بينت بفضل الله وتوفيقه أنه لا يتعارض مع آيات دخول الجنة ، وإنما تقويه الآيات المبينة لقدر الإيمان .

وكلام الأئمة والعلماء فى شرح هذا الحديث كثير، أقتصر على إيراد كلام الإمام النووى رحمه الله تعالى .

قال : فذهب أهل السُنَّة بأجمعهم من السلف الصالح ، وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب فى مشيئة الله ، وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصًا بالشهادتين فإنه يدخل الجنة ، فإن كان تائبًا أو سليمًا من المعاصى دخل الجنة برحمة ربه ، وحَرُم على النار بالجملة ، وإن كان هذا من المخلِّطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه ، أو بفعل ما حَرم عليه فهو فى المشيئة ، لا يُقْطع فى أمره بتحريمه على النار ، ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة ، بل يُقْطع بأنه لابد من دخوله الجنة آخرًا ، وحاله قبل ذلك فى خطر المشيئة إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه ، وإن شاء عفا عنه بفضله [١] .

لهذه الأسباب لا يصح رفض الحديث ، ولا يصح معه إلا التسليم والإيمان به ، جعلنا الله من المتبعين ، ونسأله سبحانه أن يحفظ قلوبنا من الزيغ ، وأن يرزقنا قلوبًا سليمة .

* * *

---

(١) شرح النووى على مسلم (١/ ١٨٥) فى شرح حديث « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا .

مغالطة فى تاريخ السُّنَّة :

ويقول الدكتور مصطفى : « هواة الدس والتحريف حينما عجزوا عن المساس بآيات القرآن ولم يجدوا وسيلة إلى تحريفها فقد حفظ الله قرآنه بجميعة أسمائه كلها ، وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) فاستداروا إلى الأحاديث يحرفونها ويختلقونها اختلاقًا ، وقد اعترف رواة الأحاديث أنفسهم بأن فيها الضعيف والموضوع والمدسوس والمحرف . . انتهى كلامه .

وأقول :

١ – ما يقصد الدكتور مصطفى بقوله : حفظ الله قرآنه بجمعية أسمائه كلها ؟

ما معنى جمعية أسمائه كلها ؟ هذا أسلوب غير معروف فى مدرسة الإسلام ، ولست أدرى من أين اقتبس .

المعروف : أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم فصرف كل أعدائه ، وأعجزهم عن النيل منه ، وهيأ سبحانه وتعالى له أسباب الحفظ ، ووفق الأمة لحفظه .

٢ – ويستدل بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ على أن الله تكفل بحفظ القرآن وحده ، وليس الأمر كذلك فإن الله تبارك وتعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم والسُّنة النبوية ، ذلك أن كلمة « الذكر » فى قوله سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ معناها الوحى ، فالله أنزل الوحى على رسوله قرآنًا وسُنة ، وهو سبحانه متكفل بحفظ كل ما أوحاه إلى رسوله ﷺ ، لأنه الرسول الخاتم ، فستظل أصول دينه سليمة تقوم بها الحجة على الخلق ، ويحيا بها الحق منهاجًا لطلاب الحق .

ومما يؤكد أن « الذكر » فى الآية هو الوحى قول الله تعالى فيما حكاه سبحانه وتعالى عن هود عليه السلام : ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ (الأعراف : ٦٩) فمعنى ﴿ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

متعين أنّ معناها : وحى من ربكم ، ولا يمكن أن يكون المعنى : قرآن من ربكم . إذ القرآن الكتاب المنزل على محمد ﷺ .

إن الله تبارك وتعالى أنزل على رسوله ﷺ القرآن والسُّنة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٣) ، فأدت هذه الآية أن الله أنزل على رسوله « الكتاب » وهو القرآن و « الحكمة » وهى السُّنة ، وقال سبحانه فى الآية التى معنا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ أى الوحى الذى يشمل القرآن والسُّنة ، ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ أى وإنا لحافظون هذا الوحى من قرآن وسنة .

وعليه فهذه الآية وعد من الله بحفظ كل ما أوحاه إلى رسوله ﷺ من كتاب وسُّنة .

وعلى فرض أن فسرنا « الذكر » بالقرآن ، فإن الآية تفيد أيضًا تكفل الله بحفظ القرآن السُّنة ، فتكفل الله بحفظ القرآن يقتضى حفظ السُّنة التى هى بيان القرآن الكريم .

إن الله تبارك وتعالى أمرنا بكثير من الأوامر المجملة فى القرآن الكريم ، وجاء تفصيل ذلك فى السُّنة النبوية ، فقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (البقرة : ١١٠) ، وقال : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ (البقرة : ٢٣٨) ولم يبين القرآن الكريم عدد الصلوات ، ولا كيفيتها ، ولا عدد ركعات كل صلاة ، فجاءت السنة وبينت كل شىء . وبدهى أن حفظ الله القرآن يقتضى حفظ السُّنة التى هى بيان للقرآن الكريم .

قوله : إن هواة الدس استداروا إلى الأحاديث يحرفونها ويختلقونها اختلاقا . . انتهى كلامه .

ظاهر كلامه : أن الأحاديث كانت فى يد الوضاعين يحرفون ويختلقون ، وكأنه لم يكن للسنة علماؤها ، ولم يكن للإسلام أهل ، فصوّر الوضع على أن الأمور كانت كما يريد أعداء الإسلام !!

وليس الأمر كذلك ، السُنة لها رجالها الذين وفقهم الله لحملها وحمايتها ، فحفظوها وحافظوا عليها ، ولم يستطع مغرض أن يزيد فيها حرفًا ، كما أنه لم يضع منها حرف ، ولقد أصّلوا لها الأصول ، وقعّدوا لها القواعد ، وبذلوا النفس والنفيس فى خدمتها ، فحفظها الله بهم سليمة ، كما أوحاها سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ .

كما أنهم قربوها للأمة ، فرتبوها على كل منهج ، وشرحوا غريبها ، واستنبطوا فقهها ، وأسسوا علم أصولها «علم مصطلح الحديث» وترجموا لكل راو من رجال أسانيدها ، ولم يتركوا جانبًا إلا خدموا السُنة منه .

لقد درسوها بابًا بابًا ، ودققوا فى ثبوت نصوصها حديثًا حديثًا ، وفحصوا نصوصها حرفًا حرفًا ، بما لا يزيد عليه لمتقن ، ولا علاوة عليه لمدقق .

حفظوها فى صدورهم ، ودوّنوها فى كتبهم ، وللرواية عندهم قواعد فى غاية الدقة ، وللكتابة عندهم أصول فى أعلى درجات الحيطة ، حتى سلّم لهم القاصى والدانى بعلو الهمة ، وسلامة المنهج ، وسداد الرأى ، وبلوغ الغاية فى خدمة السُنة .

ومن درس تاريخ وجهود المحدِّثين اتضح له من ذلك الكثير والكثير .

صور من تَـمَكُّن المحدثين العلمى :

• قيل لعبد الله بن المبارك (متوفى سنة ١٨٠هـ) أما تخشى على العلم أن يجىء المبتدع فيزيد فى الحديث ما ليس منه ؟
قال : لا أخشى هذا بعيش الجهابذة النقاد[١] .

إن ابن المبارك يوضح أنه لا خوف على حديث رسول الله ﷺ من

---

(١) التمهيد (١/٤٨) .

أعداء الإسلام ، فإن العلماء المتمكنين ، الفاهمين الناصحين لا يروج عليهم باطل، ولا ينطلي عليهم خبر مكذوب ، فما داموا فى الأمة فهم أمان لها من كل باطل وزور ، وهم لها نعم الناصح الأمين .

• وقال الإمام أحمد بن حنبل [(١)] لابنه عبد الله : خذ أى كتاب شئت من كتب وكيع [(٢)] من المصنف ، فإن شئت تسألنى عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد ، وإن شئت تسألنى عن الإسناد حتى أخبرك بالكلام [(٣)] .

وهكذا كان الصيرفى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن بكير (المتوفى سنة ٣٨٨هـ) كان يقول لتلميذه أبى القاسم الأزهرى : أيهما أحب إليك ، تذكر لى متن ما ترى من هذه الأحاديث حتى أخبرك بإسناده ؟ أو تذكر لى إسناده حتى أخبرك بمتنه ؟

يقول الأزهرى : فكنت أذكر له المتون ، فيخبرنى بالأسانيد من حفظه ، وفعلت ذلك مرارًا كثيرة [(٤)] .

قال الحافظ الذهبى : كان الصيرفى عجبًا فى حفظ الحديث .

وهكذا كانوا يعرفون إسناد كل حديث ، وحديث كل إسناد ، وهكذا كانوا يحفظون حديث رسول الله ﷺ .

• وأملى إسحاق بن راهويه (المتوفى سنة ٢٣٨هـ) مرة أحد عشر ألف حديث من حفظه ، ثم قرأها مرة أخرى ، فما زاد حرفًا ولا نقص حرفًا .

---

(١) أشهر من أن يعرف به ، فهو إمام المحدِّثين ، وإمام أهل السُّنة ، وصاحب المذهب الفقهى الشائع فى البلاد الإسلامية ، وكتابه «المسند» من أجمع كتب السُّنة ، وله كثير من المؤلفات النافعة فى العقيدة والفقه والحديث ، توفى سنة ٢٤١هـ .

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى ، أحد أئمة الإسلام ، بلغ مبلغًا عظيماً فى الحفظ والفهم ، توفى سنة ١٩٧ هـ .

(٣) البدر المنير (١/ ٢٢٠) .

(٤) البدر المنير (١/ ٢٤٢) .

وقال مرة : أحفظ مكان مائة ألف حديث كأنى أنظر إليها [١] ، وأحفظ منها سبعين ألف حديث عن ظهر قلبى صحيحة ، وأحفظ أربعة آلاف حديث مزوّرة ، فقيل له فى ذلك [٢] فقال : لأجل إذا مر بى منها حديث فى الأحاديث الصحيحة ، فَلَيْتُه منها فَلْيًا [٣] .

• وقال الشعبى [٤] : ما كتبت سوداء فى بيضاء إلا وأنا أحفظها ، ولا حدثنى رجل بحديث فأحببت أن يعيده علىّ [٥] .

• وقال سفيان الثورى [٦] : ما استودعت أذنى شيئًا إلا حفظته ، حتى أمر بالحائك فأسد أذنى مخافة أن أحفظ ما يقول [٧] .

• وقال أحمد بن منصور الرمادى : خرجت مع أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، فقال يحيى لأحمد : أريد أن نختبر أبا نعيم [٨] !

فقال أحمد : لا تُرِد [٩] ، الرجل ثقة .

فقال : لابد لى ، فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثًا من حديث أبى نعيم ، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثًا ليس من حديثه.

ثم جاءوا إلى أبى نعيم فقرأ يحيى عليه عشرة ، وأبو نعيم ساكت ، ثم قرأ الحادى عشر ، فقال أبو نعيم : ليس من حديثى ، اضرب عليه [١٠] .

---

(١) أى أنه يعرف مكان كل حديث فى كتبه .

(٢) أى قيل له : لم تحفظ المزوّرة ؟ إنها لا فائدة لها .

(٣) أى أخرجته منها مهما دق ، وهذا الخبر فى البدر المنير (١/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٤) تلميذ الصحابة وعلامة التابعين عامر بن شراحيل المتوفى سنة ١٠٣ هـ .

(٥) البدر المنير (١/ ٢٣٤) وطبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦) .

(٦) من أعلام المحدثين ، توفى سنة ١٦١ .

(٧) من البدر المنير (١/ ٢٤١) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٢) .

(٨) هو الفضل بن دكين إمام حافظ ثبت ، توفى سنة ٢١٩ ، تذكرة (١/ ٣٧٢) .

(٩) أى لا تختبره ، نهى عن قوله « أريد أن نختبر أبا نعيم » أى لا ترد اختباره ، يعنى لا تختبره فإنه ثقة .

(١٠) اشطب عليه .

ثم قرأ عليه العشرة الثانية ، وأبو نعيم ساكت ، فقرأ الحديث التالى ، فقال : ليس من حديثى ، اضرب عليه .

ثم قرأ العشرة الثالثة ، وأبو نعيم ساكت ، ثم قرأ الحديث التالى ، فتغير أبو نعيم ، وانقلبت عيناه ، وأقبل على يحيى فقال : أما هذا – وأشار إلى أحمد بن حنبل – فأورع من أن يعمل هذا ، وأما هذا – وأشار إلى الرمادى – فأقل من أن يفعل هذا ، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ، ثم أخرج رجله فرفس يحيى فرمى به .

فقال يحيى : والله لرفسته أحب إلىّ من سفرى[1] .

هذه صور من تمكن المحدّثين العلمى ، ولو أردت جمع كتاب فى ذلك لفعلت ، فمناقبهم فى ذلك كثيرة جدًا ، وتشهد بتمكنهم ، وشدة تحريهم ، ولقد بذلوا فى ذلك جهدًا لا يتصوره أهل عصرنا ، أكتفى فى تصوير ذلك بقصة حديث ، ليتأمل القارئ كم تحمل المحدّث من عناء فى تتبع هذا الحديث .

* * *

(١) من البدر المنير بتوضيح يسير (١/ ٢٥٣) ، وكان يحيى قد سافر إلى أبى نعيم ، وأراد أن يطلع على حاله ، فلما تأكد من حفظه سره ذلك .

صورة من قوة تحملهم :

عن ناصر بن حماد ، قال : كنا بباب شعبة نتذاكر الحديث ، فقلت : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، قال : (كنا فى عهد رسول الله ﷺ نتناوب رعاية الإبل ، فرحت ذات يوم ورسول الله ﷺ جالس وحوله أصحابه ، فسمعته يقول : من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل المسجد فصلى ركعتين واستغفر الله غفر الله له ، قال : فما ملكت نفسى أن قلت : بَخ بخ»[1] ! قال : فجذبنى رجل من خلفى ، فالتفتّ فإذا عمر بن الخطاب ﷺ ، فقال : يا ابن عامر ، الذى قال قبل أن تجىء أحسن . قلت : ما قال فداك أبى وأمى ؟ قال : من شهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، من أيها شاء دخل[2] .

قال[3] : فسمعنى شعبة ، فخرج إلىّ فلطمنى لطمة ، ثم دخل ، ثم خرج فقال : ما له يبكى ؟ فقال عبد الله بن إدريس : لقد أسأتَ إليه .

فقال[4] : أما تسمع ما يحدّث عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر وأنا قلت لأبى إسحاق : أَسمِعَ عبدُ الله بن عطاء عن عقبة بن عامر ؟ قال : لا . وغضب ، وكان مسعر ابن كِدام حاضرًا فقال لى مسعر : أغضبتَ الشيخَ[5] فقلت : ما له ؟ ليُصَحِّحَنَّ لى هذا الحديث أو لأسقطنّ حديثه ، فقال مسعر : عبد الله بن عطاء بمكة[6] .

---

(١) قال ذلك استعظامًا لهذا الأجر .

(٢) أخرج الإمام مسلم نحوه فى الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء عن أبى إدريس الخولانى عن عقبة بن عامر ، ومن طريق آخر عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر . انظر صحيح مسلم (١/ ٢٠٩ - ٢١٠) ، فالحديث فى حد ذاته صحيح ، إلا أن شعبة يبحث عنه من طريق آخر .

(٣) القائل نصر بن حماد . (٤) القائل شعبة .

(٥) أى قال مسعر لشعبة : أغضبت الشيخ يعنى أبا إسحاق .

(٦) يعنى فاذهب إليه فاسأله .

فرحلت[1] إليه لم أرد الحج ، إنما أردت الحديث ، فلقيت عبد الله ابن عطاء ، فسألته[2] ، فقال : سعد بن إبراهيم حدثنى ، فقال لى مالك ابن أنس : سعد بن إبراهيم بالمدينة لم يحجّ العام .

فدخلت المدينة ، فلقيت سعد بن إبراهيم، فسألته ، فقال : الحديث من عندكم . زياد بن مخراق حدثنى ، فقلت : أى شىء هذا الحديث ؟ بينا هو كوفى ، صار مكيًا ، صار مدنيًا ، صار بصريًا .

فدخلت[3] البصرة ، فلقيت زياد بن مخراق فسألته : فقال : ليس هذا من بابتك[4] قلت : بلى . قال : لا تريده[5] . قلت أريده . قال[6] : شهر ابن حوشب[7] حدثنى عن أبى ريحانة[8] عن عقبة بن عامر .

قال[9] : فلما ذكر لى شهرًا ، قلت : دُمِّرَ علىّ هذا الحديث ، لو صح لى هذا الحديث كان أحب إلىّ من أهلى ومن مالى ومن الدنيا كلها[10] ! .

---

(١) الذى رحل هو شعبة .

(٢) يعنى سأله عن الحديث المذكور .

(٣) شعبة الذى دخل البصرة .

(٤) يريد أن هذا الحديث الذى تسأل عنه ليس من الأحاديث التى تطلبها .

(٥) أى لا تريده لأنه ليس من بغيتك الأحاديث الضعيفة ، والرواية عن الضعفاء ، فقد كان شعبة معروفًا بتقصيه وتشدده فى الرواية ،والإنكار على الضعفاء والكذابين .

(٦) القائل زياد بن مخراق .

(٧) هو شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ، صدوق ، كثير الإرسال والأوهام ، تكلم فيه بعض النقاد، وهو متروك الحديث ، توفى سنة (١٠٠ هـ) انظر ميزان الاعتدال (١/ ٤٥١) ، وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٦٩) .

(٨) أبو ريحانة هو عبد الله بن مطر البصرى تابعى صويلح مشهور بكنيته . انظر ميزان الاعتدال (٢/ ٧٨) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ٣٤) .

(٩) القائل شعبة .

(١٠) روى الخطيب هذا الخبر بسنده الذى يلتقى بأسانيد الرامهرمزى فى محمد بن سعيد العطار مع اختلاف يسير فى اللفظ . انظر « الكفاية » ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، وانظر مقدمة التمهيد ص ١٣ : أ - ب ، وانظر ميزان الاعتدال (١/ ٤٥١) حيث ذكر بعضه موجزًا عن شعبة .

نقلت هذه الصورة من كتاب المحدث الفاصل ص ٣١٣ - ٣١٥ مع زيادات طفيفة .

هذه صورة من معاناتهم فى التحرى والتدقيق ، لقد أحس شعبة بخلل فى إسناد هذا الحديث ، فأخذ يبحث عنه ، ولقد كلفه ذلك أن يذهب :

من بغداد إلى مكة .

ومن مكة إلى المدينة .

ومن المدينة إلى البصرة .

ومن البصرة إلى بغداد .

ولم تكن هناك سيارات ولا طائرات ، لكنهم قطعوا الكثير من المسافات من أجل نصرة دين الله ، وانطلاقًا من قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .(الزمر : ٩) .

ومن قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾.
(فاطر : ٢٨)

صورة من استقصائهم فى بحوثهم :

يقول أحمد بن سعيد الدارمى : لا يعرف لابن علية[١] غلط إلا فى حديث جابر فى المدبر ، جعل اسم الغلام اسم المولى ، واسم المولى اسم الغلام[٢] .

هكذا كانوا يعدون أحاديث كل راو ، ويعرفون ما أخطأ فيه ، وابن علية هذا كان يَعُدُّ الحروف[٣] ، فيعرف حروف كل حديث ، حتى لا يخطئ حرفًا .

وابن علية هذا أخطأ فى أسماء الحديث ، لكنه أخطأ فيها مرة ، ثم انتبه ، ولقد أخرج الأئمة عنه الحديث صحيحًا دون خطأ فى الأسماء .

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى مولاهم المعروف بـ« ابن علية » وعلية جدته أم أمه . « تهذيب التهذيب» (١/ ٢٧٥) رقم ٥١٣ .

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٢٣٣) .

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٢٣٢) ، وتهذيب الكمال (٣/ ٣٠) .

فقد أخرج أبو داود قال : حدثنا أحمد بن حنبل ، قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم - ابن علية - قال : أخبرنا أيوب، عن أبى الزبير ، عن جابر أن رجلًا من الأنصار يقال له أبو مذكور أعتق غلامًا له يقال له يعقوب عن دُبُر [1] ولم يكن له مال غيره ، فدعا به رسول الله ﷺ فقال : من يشتريه ، فاشتراه نعيم بن عبد الله بن النحام بثمانمائة درهم ، فدفعها إليه ، ثم قال ﷺ « إذا كان أحدكم فقيرًا فليبدأ بنفسه ، فإن كان فيها فضل [2] فعلى عياله ، فإن كان فيها فضل فعلى ذى قرابته ، أو قال على ذى رحمه وإن كان فضل فههنا وههنا » [3] .

إنهم يعرفون حديث ابن علية ، ويحصون عليه أخطاءه ، فلما أخطأ مرة ، حسبوها عليه .

وهكذا هم فى كل الرواة ، يعرفون أحاديث كل راو ، يعدون عليه أحاديثه ، ويعدون كلمات كل حديث ، وحروف كل حديث .

* * *

(١) أى أنه قال : إن غلامه يعتق لكن بعد موت المالك ، فمعنى « عن دبر » أى عند إدباره عن الدنيا أى موته يعتق الغلام .

(٢) زيادة .

(٣) أى فلينفق فى أوجه الخير الأخرى ، والحديث أخرجه أبو داود فى العتاق باب بيع المدبر (١٠/ ٤٩٥) ، وأخرجه أيضًا البخارى ومسلم والترمذى والنسائى جامع الأصول (٨/ ٨٥ - ٨٧) .

صورة من عمق فهمهم :

المحدِّثون أُناس مصدر علمهم القرآن والسُّنة ، الآية والحديث أمنيتهم ، لا يتجاوزون ، ولا يتقدمون ، ولا يتأخرون، يُعملون عقولهم فى فهم النص دون إفراط ولا تفريط ، ومن هنا صحت عقيدتهم ، واستقامت عبادتهم .

العقل عندهم وسيلة لفهم النص ، أما قائد التوجيه فهو النص ، دينهم مصدره الوحى وعقلهم بعد الوحى ، فكرهم فى التأهيل لفهم النص ، يجمعون الكثير من العلوم كى يفهموا النص فهمًا سليمًا ، يحرصون على جمع النصوص حرصًا شديدًا ، يدققون فى كلمات النص ، بل وحروفه ، يتثبتون ويدققون ، يفهمون ويستنبطون ، لهم أدق القواعد ، وأسلم المناهج ، حتى إن كل من اطلع على قواعدهم ومناهجهم سلّم لهم بالتقدم وطول الباع ، وبلوغ الغاية فى التثبت والاتباع .

قال الإمام أحمد بن حنبل فيهم ، أعنى فى المحدِّثين :

دين النبى محمد آثار   نعم المطية للفتى الآثار[1]

لا ترغبنَّ عن الحديث وأهله   فالرأى ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى أثر الهدى   والشمس بازغة لها أنوار[2]

ويقول عبدالله بن المبارك : ليكن الأمر الذى تعتمدون عليه هذا الأثر ، وخذوا من الرأى ما يفسر لكم الحديث[3] .

إنهم يهتمون بالنص الوارد فى المسألة ، أما العقل فهو فى خدمة النص .

---

(١) أى نعم المنهج للإنسان أن يتبع الآثار ، أى إن المنهج المحمود أن تتبع الكتاب والسُّنة .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/ ٧٨٢) رقم ١٤٥٩ .

(٣) المصدر السابق .

ومن صور عمقهم الفكرى فى النص أن أحد أعدائهم عاب عليهم أنهم يجمعون أحاديث لا تفيد شيئًا . وضرب لذلك مثلاً حديث رسول الله ﷺ « يا أبا عمير ما فعل النغير » ومن راجع كتب المحدثين وجد أنهم استنبطوا من هذا الحديث أكثر من ستين فائدة !!

ونص الحديث : عن أنس ﷺ قال : كان النبى ﷺ أحسن الناس خلقًا ، وكان لى أخ يُقال له أبو عمير - قال أحسبه فطيما [(١)] - وكان إذا جاء قال : يا أبا عمير ، ما فعل النُغَيْر [(٢)] ؟ نُغَر كان يلعب به ، فربما حضر الصلاة وهو فى بيتنا ، فيأمر بالبساط الذى تحته فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلى بنا » [(٣)] .

لقد جمع أبو العباس أحمد بن أحمد الطبرى المعروف بابن القاص ، جمع طرق هذا الحديث، واستنبط ما فيه من فوائد فبلغت ستين فائدة ، وزاد الحافظ ابن حجر عليها عدة فوائد ، وإنى أسوق بعضًا منها ، استدلالاً على عمق فهم المحدثين :

١ - جواز حمل العالم علمه إلى من يستفيد منه ، فلقد ذهب ﷺ إلى بيت أبى طلحة .

٢ - جواز ممازحة الصغير ، فلقد مازح ﷺ طفلاً حديث الفطام .

٣ - ترك التكبر والترفع ، فلقد لاعب ﷺ طفلاً .

٤ - الحكم على ما يظهر من الأمارات فى الوجه ، فلقد علم ﷺ حزن الطفل بما ظهر على وجهه .

٥ - قبول خبر الواحد ، فإن الذى أجاب عن سبب حزن الطفل كان واحدًا .

---

(١) أى انتهى إرضاعه .

(٢) طائر صغير كان يلعب به .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب باب الكنية للصبى ، وقبل أن يولد للرجل (١٠/ ٥٨٢) رقم ٦٢٠٣ .

٦ – جواز تكنية من لم يولد له ، فابن أبى طلحة هذا اسمه حفص ، وكناه رسول الله ﷺ بـ « أبى عمير » .

٧ – جواز لعب الصغير بالطير .

٨ – جواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح اللعب به .

٩ – جواز إنفاق قدر من المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات ، فإن هذا الطير قد اصطيد ، وأنفق عليه فى طعامه .

١٠ – جواز إمساك الطير في قفص ونحوه .

١١ – وفى الحديث أن الكبير إذا زار قومًا حرص على إسعادهم جميعًا ، فإنه ﷺ مازح أبا عمير ، وصافح أنسًا ، وصلى بهم جميعًا .

هذا قدر مما استنبطه المحدِّثون من حديث ، ظن أعداء السُّنة أنه لا شىء يستفاد منه ، يبين هذا القدر أنهم كانوا على عمق واع بالأحاديث التى يروونها .

بعد هذا القدر من التعريف نرى :

* تَمَكُّن المحدِّثين العلمى ، وحفظهم وإحاطتهم بالسنة النبوية .
* واستعدادهم لبذل النفس والنفيس فى سبيل خدمة السُّنة .
* واستقصاءهم فى بحوثهم .
* وعمق فهمهم للأحاديث والآثار التى يروونها .

بعد هذا يكون قد اتضح أنه لا يصح أن يقول منكرو السُّنة – الدكتور مصطفى أو غيره – إن هواة الدس استداروا إلى الأحاديث يحرفونها ويختلقونها اختلاقًا .

لا يصح أن يُقال هذا ، فهواة الدس لا يمكنهم أن يُدخلوا كلمة واحدة فى السُّنة ، بل ولا يستطيعون تزوير حرف واحد فيها ، فلها علماؤها الذين قاموا عليها خير قيام .

٤ – ويقول الدكتور مصطفى : وقد اعترف رواة الأحاديث أنفسهم بأن فيها الضعيف والموضوع والمدسوس والمحرف .. انتهى كلامه .

وأقول له : هذا شأن منكرى السُّنة ، يقولون نصف الحقيقة حتى تشوه ، وتصبح باطلاً !!

فرواة الأحاديث يعترفون بأن فيها ما هو صحيح ، وما هو حسن ، وما هو ضعيف ، وما هو موضوع هذا نصف الحقيقة ، وتكملتها : أنهم يعرفون الصحيح ، من الحسن ، من الضعيف ، من الموضوع ، وقد ألفوا كتبهم على هذا الأساس .

إن الذى يقرأ كلام منكرى السُّنة فى هذا الموضوع يتصور أن الأحاديث فيها الصحيح والضعيف والموضوع مختلطة بعضها ببعض ، لا يعرف هذا من ذاك .

وليس الأمر كذلك ، وإنما :

الأحاديث الصحيحة معروفة ، ولها كتبها مثل :

* صحيح البخارى .
* صحيح مسلم .
* صحيح ابن خزيمة .
* صحيح ابن حبان .
* مستدرك الحاكم .
* موطأ مالك .
* المختارة للضياء المقدسى .
* الصحاح لابن السكن .
* المنتقى لابن الجارود .
* المستخرجات على هذه الصحاح .

والأحاديث الحسنة معروفة ، ولها كتبها ، وذلك مثل :

* سنن أبى داود .
* سنن الترمذى .
* سنن النسائى .
* سنن ابن ماجه .
* مسند أبى داود الطيالسى .
* مسند الإمام أحمد بن حنبل .
* والسنن الكبرى للبيهقى .

والأحاديث الضعيفة معروفة ، ولها كتبها ، ومن ذلك :

* الضعفاء للعقيلى .
* الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى .
* تاريخ بغداد للخطيب .
* تاريخ دمشق لابن عساكر .
* تاريخ نيسابور للحاكم .
* تاريخ ابن الجارود .

والأحاديث الموضوعة معروفة ، ولها كتبها ، ومن ذلك :

* الموضوعات لابن الجوزى .
* اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، للسيوطى .
* الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ، للشوكانى .
* تذكرة الموضوعات للفُتَّنِى .
* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لابن عراق .

إن المحدثين على دراية بكل حديث من أحاديث رسول الله ﷺ ،

يعرفون طرقه ورواته ، ويعرفون حاله من حيث القبول أو الرد ، بل يعرفون كل لفظة فيه ، وهل هى مقبولة أو مردودة ، ولقد بذلوا جهودًا عظيمة فى خدمة السُّنة النبوية ، وكانوا على درجة عالية من الذكاء والفهم ، ومن هنا حفظ الله بهم السُّنة ، وهيأ لها بهم أعلى درجات الحفظ والسلامة ، فلم يضع منها حرف ، ولم يزد فيها حرف ، ومن هنا فإن الحق يقتضى ألاَّ يُقال : إن السُّنة فيها الضعيف والموضوع والمحرف والمدسوس ، لا ، لا يُقال هذا أبدًا ، وإنما يُقال : إن الأحاديث النبوية لها علماؤها الذين يعرفون حال كل حديث ، فيعرفون الصحيح من الحسن من الضعيف ، ولقد بيّنوا ذلك للناس ، ويعرفون الموضوعات ، ولقد بيّنوا حالها ، وحذروا الناس منها .

إن معرفة الموضوعات تاج فخار على رءوس المحدثين ، وشهادة سلامة للسُّنة ، فإنهم يعرفون أحاديث رسول الله ﷺ حديثًا حديثًا ، وكلمة كلمة ، وأى كلمة تزاد وينسبها أحد إلى رسول الله ﷺ فإنهم يميزونها ويبينون أنها ليست من حديث رسول الله ﷺ .

وأسوق صورًا أبين بها للقارئ شيئًا من دراية المحدثين بالسُّنة النبوية :

نماذج من معرفتهم صحيح الحديث من سقيمه :

معرفتهم الموضوع :

• روى الحاكم وغيره عن أحمد بن حنبل أنه رأى يحيى بن معين وهو يكتب صحيفة : معمر ، عن أبان ، عن أنس .

فإذا اطلع عليه إنسان كتمه .

فقال له أحمد : تكتب صحيفة معمر ، عن أبان ، عن أنس ، وتعلم أنها موضوعة ؟ فلو قال لك قائل : أنت تتكلم فى أبان ، ثم تكتب حديثه !!

فقال يحيى بن معين : يا أبا عبد الله[1] ، أكتب هذه الصحيفة فأحفظها كلها وأعلم أنها موضوعة ، حتى لا يجىء إنسان فيجعل بدل أبان ثابتًا ، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس ، فأقول له كذبت ، إنما هى عن معمر ، عن أبان ، لا عن ثابت[2] .

لقد حفظوا الموضوعات للاحتراز والاحتياط .

• وأخرج الخطيب عن أبى حاتم الرازى[3] قال : لم يكن فى أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا فى هذه الأمة .

فقال له رجل : يا أبا حاتم ، ربما رووا حديثًا لا أصل له ولا يصح !

فقال : علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم ، فروايتهم ذلك للمعرفة ، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها .

ثم قال : رحم الله أبا زرعة[4] ، كان والله مجتهدًا فى حفظ آثار رسول الله ﷺ[5] .

هكذا هى الأمة التى وفقها الله لحفظ أصول دينه من كتاب وسُنة ، علماء الحديث منها يحفظون ويحافظون على كل ما كان عن رسول الله ﷺ .

ومن جهدهم الموفق أنهم بَلّغوا الأحاديث المقبولة ليُعمل بها ، كما أنهم بيّنوا الأحاديث الموضوعة وحذّروا منها .

* * *

(١) كنية الإمام أحمد بن حنبل .
(٢) تدريب الراوى (١/ ٣١٤) .
(٣) أحد أعلام الحديث ، ومن علماء القرون الثلاثة الفاضلة ، توفى سنة ٢٧٧ ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٥٦٧ ، وتاريخ بغداد (٢/٧٣) ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ٣٤٩ .
(٤) أحد أعلام الحديث ، وهو قرين أبى حاتم ، توفى سنة ٢٦٤ ، ترجمته فى تذكرة الحفاظ ص ٥٥٧ ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ٣٢٨ .
(٥) شرف أصحاب الحديث ص ٤٢ ، ٤٣ رقم ٨٢ .

معرفتهم علة الحديث[1] :

• وها هو شخص يأتى أبا زرعة الرازى[2] ويقول له : ما الحجة فى تعليلكم الحديث ؟

فقال أبو زرعة : الحجة أن تسألنى عن حديث له علة ، فأذكر علته ، ثم تقصد ابن وارة ، يعنى محمد بن مسلم بن وارة ، وتسأله عنه ، ولا تخبره بأنك قد سألتنى عنه ، فيذكر علته ، ثم تقصد أبا حاتم ، فيعلله ، ثم تميز كلام كل منا على ذلك الحديث ، فإن وجدت بيننا خلافًا فى علته فاعلم أن كُلًّا مِنَّا تكلم على مراده ، وإن وجدت الكلمة متفقة ، فاعلم حقيقة هذا العلم .

ففعل الرجل ، فاتفقت كلمتهم عليه ، فقال : أشهد أن هذا العلم إلهام[3] .

هذا أمر فى غاية الجدية ، الرجل يستغرب لكلامهم فى تصحيح هذا الحديث ، وإعلال ذلك ، فأجرى دراسة على حديث سأل عنه ثلاثة من أهل الحديث ، فتكلموا بكلام واحد ، مما يدل على أصالة علمهم ، وإمامتهم فى هذا العلم .

معرفتهم بمرويات كل محدِّث :

قال على بن الجعد : حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل ، حدثنى على - ابن المدينى - قال : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : كان شعبة يقول : أحاديث الحكم عن مقسم كتاب إلا خمسة أحاديث[4] .

---

(١) العلة : سبب غامض يقدح فى صحة الحديث ، لا يعرفه إلا كبار المحدثين .

(٢) سبق التعريف به .

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١١٣ .

(٤) يخبر شعبة بن الحجاج بأن مرويات الحكم بن عتيبة - التابعى الثقى المتوفى سنة ١١٣هـ - عن مقسم بن بجرة التابعى إنما هى كتاب رواه الحكم عن مقسم ، ولم يسمع الحكم من مقسم إلا خمسة أحاديث ، هى التى ذكرها هنا .

قال على بن المدينى ليحيى : عَدّها شعبة ؟

قال يحيى : نعم .

قال على ليحيى : ما هى ؟

قال يحيى : حديث الوتر ، وحديث القنوت ، وحديث عزيمة الطلاق ، وجزاء مثل ما قتل من النعم ، والرجل يأتى امرأته وهى حائض [1] .

هكذا يعرف شعبة مرويات الحكم ، وأنه لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث ، وبلغ شعبة من الدراية بمرويات الحكم أنه عَدّ هذه الأحاديث ، وغير شعبة كثير من يعرفون مرويات كل راو عن كل شيخ من شيوخه ، ولولا الحرص على الاختصار لكتبت فى ذلك كثيرًا .

معرفتهم طرق كل حديث :

من عجيب أمر المحدثين أنهم يعرفون كل شىء عن كل حديث !!

يروى الحديث فى الظاهر متصلاً [2] فيذكرون له علة تجعله منقطعًا [3] !

ويروى الحديث منقطعًا فيعرفون من سقط من إسناده مما يجعله متصلاً !

وأكتفى بهاتين الصورتين .

فمثال المتصل فى الظاهر :

حديث هشام بن أبى عبد الله ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان إذا أفطر عند أهل بيت قال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، ونزلت عليكم السكينة » .

---

(١) مسند ابن الجعد (١/ ٣٤٧) رقم ٣٢١ ، والحديث الثالث والرابع من الأحاديث الخمسة فى مسند ابن الجعد رقم ١٥٨ ، ١٥٩ (١/ ٣١٢) .

(٢) المتصل : ما سمعه كل راو عمن فوقه ، من المؤلف إلى رسول الله ﷺ .

(٣) المنقطع : ما سقط منه راو أثناء الإسناد .

قال الحاكم أبو عبد الله [1] : قد ثبت عندنا من غير وجه رواية يحيى ابن أبى كثير عن أنس بن مالك إلا أنه لم يسمع منه هذا الحديث ، وله علة .

ثم ساق بإسناده :

عن هشام بن أبى عبد الله ، عن يحيى بن أبى كثير قال : حُدِّثت عن أنس أن النبى ﷺ كان إذا أفطر . . . الحديث [2] .

إن يحيى قد صرح فى الطريق الثانى أنه لم يسمع من أنس ، وإنما حُدِّث عنه ، مما يدل على أنه لم يسمع هذا الحديث منه ، وإنما سمعه من رجل عنه ، فتوقف المحدِّثون هنا ، وحكموا على هذا الحديث من رواية يحيى عن أنس بأنه ليس متصلاً ، وإنما هو منقطع .

هكذا جمعوا طرق الحديث ، فعرفوا ما فى الإسناد ، ودرسوا سماعات يحيى ومروياته فحكموا على هذا الإسناد بالانقطاع .

على أن هذا الحديث قد صح من طرق أخرى ، فقد روى عن أنس من غير طريق يحيى ، وروى عن غير أنس عن الصحابة .

وأسلم طرقه ما كان عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا أفطر عند قوم قال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وتنزلت عليكم الملائكة » [3] .

ومثال المنقطع الذى علموا اتصاله :

حديث يرويه الأعمش عن الشعبى قال : يقال للرجل يوم القيامة

---

(١) صاحب كتاب « المستدرك على الصحيحين » لقب بالحاكم لعلو قدره فى الحديث ، توفى سنة ٤٠٥هـ .

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الدعاء باب ما يقول من أفطر عند قوم (٢/ ١٢٣٣) رقم ٩٢٦ ، وراجع أحاديث هذا الباب كلها ، وراجع تخريجها ، وكيف أن مخرج الكتاب الأخ الدكتور محمد سعيد البخارى الأستاذ بجامعة أم القرى ، وهو من إخواننا الأفاضل ، يدرس إسناد هذه الأحاديث بخبرة ودراية تدل على تمكن المحدثين فى علم حديث رسول الله ﷺ .

عملت كذا وكذا؟ فيقول : ما عملته ، فيختم على فيه ، فتنطق جوارحه ، فيقول لجوارحه : أبْعَدَكُنّ الله ، ما خاصمت إلا فيكن [1] .

هذا الحديث من كلام الشعبى وهو تابعى ، فأين الصحابى ؟

ولماذا لم ينسبه إلى رسول الله ﷺ ؟

إذًا سقط من الحديث :

١ - الصحابى .

٢ - نسبته إلى رسول الله ﷺ .

إلا أن كل ذلك قد عرف من طريق آخر ، وأن الشعبى يرويه عن أنس ، عن رسول الله ﷺ .

فلقد أخرجه مسلم بإسناده عن الشعبى ، عن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال [2] : قلنا الله ورسوله أعلم ، قال من مخاطبة العبد ربه : يقول : يا رب ، ألم تجرنى من الظلم ؟ قال : يقول : بلى . قال : فيقول : فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدًا منى ، قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا ، وبالكرام الكاتبين شهودًا . قال : فيختم على فيه ، فيقال لأركانه [3] : انطقى ، قال : فتنطق بأعماله . قال : ثم يُخَلّى بينه وبين الكلام .

قال : فيقول : بُعْدًا لكُنّ وسحقًا [4] ، فعنكن كنت أُناضل [5] .

إن الأعمش روى الحديث منقطعًا ، لا نعرف الصحابى الذى رواه ، ولا نعرف هل هو من كلام رسول الله ﷺ أو لا ، إلا أن المحدثين

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٣٨ .

(٢) القائل أنس بن مالك .　　　(٣) جوارحه .

(٤) يدعو العبد على جوارحه إذا نطقت بكل ما عمل ، يدعو عليها بالهلاك .

(٥) أى أنه كان يدافع عن جوارحه حتى لا تدخل النار ، وما علم المسكين أن الدفاع بالكذب لا ينفع ، والحديث أخرجه مسلم فى الزهد (٤/ ٢٢٨٠) حديث رقم (١٧/ ٢٩٦٩) .

بمعرفتهم طرق الحديث عرفوا أنه قد جاء متصلاً مسندًا ، وذلك من غير طريق الأعمش ، فعرفنا الصحابى الذى رواه ، وعرفنا أنه من كلام سيدنا رسول الله ﷺ .

هذه صورة من معرفة المحدِّثين بأحاديث رسول الله ﷺ ، تثبت أنهم كانوا على دراية تامة بأحاديث رسول الله ﷺ ، وأمثلة ذلك غير ما ذكرت كثيرة جدًا ، لكنى أكتفى بهذا حتى لا يطول الرد .

وهكذا يتضح أن الأمر ليس كما يقول منكرو السُّنة ، من أن المحدثين أنفسهم يعترفون بأن الأحاديث فيها الضعيف والموضوع ، والمدسوس والمحرف ، لا ، ليس الأمر كذلك ، وإنما المحدثون يعرفون كل حديث ، ويعرفون حال كل حديث ، وهل هو صحيح أو ضعيف ، أو موضوع ، والموضوع لا مجال له فى كتبهم ، فكم من مؤلفات لهم أحاديثها كثيرة جدًا ولا شىء فيها من الموضوع ، فها هو صحيح البخارى كله صحيح ، وها هو صحيح مسلم آلاف الأحاديث كلها صحيحة ، وليس فيها شىء من الموضوع ، وها هو مسند أحمد بن حنبل فيه أكثر من ثلاثين ألف حديث ، ليس فيه شىء من الموضوع ، وها هو كتاب « السنن الكبرى » للبيهقى فيه أكثر من أربعين ألف حديث ليس فيه شىء من الموضوع .

إن الأحاديث الموضوعة ليست فى كتب المحدثين ، وإنما ذكرها أُناس لا معرفة لهم بالسُّنة ، فنبه المحدثون عليها ، وحذروا الناس منها .

إن المحدثين جماعة من أمة الإسلام تخصصوا فى دراسة حديث رسول الله ﷺ ، فخدموه من كل ناحية ، وتقدموا فى ذلك كل التقدم ، شأنهم فى ذلك شأن علماء كل علم من علوم الإسلام .

ونحن على الأثر :

ومدرسة الحديث لازالت والحمد لله رب العالمين .

فطلاب علم الحديث وعلماؤه بحمد الله جادون ، ويقدمون للسنة

كل ما تحتاجه من دراسة ، وقائمون بالحفاظ عليها كل المحافظة .

يعرضونها بالأسلوب المناسب لأهل زماننا ، فيشرحون الأحاديث بما يناسب العصر ، ويكتبون فى المصطلح ، وفى مناهج المحدثين ، وفى تاريخ السُّنة ، وفى علوم السُّنة ، وفى علم الرجال .

ومؤلفاتهم بحمد الله شائعة ذائعة فى التعريف بحال الأحاديث ، وكتبهم شائعة فى الدفاع عن السُّنة النبوية ، يدفعون عنها كل باطل ، ويردّون عنها كل زور .

ومن قرأ لهم استفاد كثيرًا ، وتحصن ضد افتراءات أعداء الإسلام .

* * *

ادعاؤه تناقض الحديث !!

عجيب أمر هذا الكاتب الذى يُدْعى / مصطفى محمود ، يَدَّعى أن حديث أبى سعيد الخدرى فى إخبار رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يخرج أقوامًا من جهنم ويدخلهم الجنة ، يدعى هذا الكاتب أن هذا الحديث متناقض مع نفسه !!

ووجه التناقض عنده : إنه إذا كان هؤلاء عتقاء الرحمن بالفعل فلم يتركهم فى النار حتى يتفحموا ، ولِمَ يدخلهم النار أصلاً ، علمًا بأنه فى الآخرة لا يتفحم أهل النار فى النار ، وإنما يتحادثون ويتلاعنون ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف : ٣٨) ؟ . . (انتهى كلامه)[١] .

وأقول :

١ - إن الحديث ليس فيه أى تناقض مع نفسه ، فإنهم لم يلقبوا بـ « عتقاء الله » قبل دخول النار ، وإنما بعد أن دخلو النار ، وأخذوا قسطًا من العذاب ، رحمهم الله فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، فلقبوا بـ « عتقاء الله » أعتقهم من النار بمغفرته ورحمته ، وبإيمانهم به سبحانه .

إن كلام الدكتور مصطفى هذا يصح لو كانوا لقبوا بهذا اللقب ، ثم أدخلوا النار ، وليس الأمر كذلك ، فإنهم ما لقبوا به إلا بعد أن دخلوا النار وأخرجوا منها ، ودخلوا الجنة ، لقبوا بذلك تشريفًا ، وجبرًا لكسرهم .

ولست أدرى كيف يقول مثقف أعطى نفسه حق الكلام فى الإسلام ، لست أدرى كيف يكتب هذا التناقض ، وكيف تنشره له وسيلة نشر !!

٢ - أما قوله : إنه فى الآخرة لا يتفحم أهل النار فى النار . . إلى آخر

(١) قال هذا فى مقاله « كلمة هادئة » بتاريخ ١٩ فبراير ٢٠٠٠ ، وفى مقالة « كلمة لأولاد العم » بتاريخ أول أبريل ٢٠٠٠ .

ما سبق من كلام ، فهذا أيضًا كلام باطل ، فالله قد قال فى شأن نارجهنم : ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم : ٦) ، فإذا كانت تشتعل بالحجارة فهذا دليل على قوة نارها جدًا مما يجعل المعذبين فيها يتفحمون ، وهم يتفحمون لكن مع الإحساس ليستمر العذاب ، كما فى قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ (النساء : ٥٦) إنهم يتفحمون لكنهم كما قال الله : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ (فاطر : ٣٦) .

إن إخبار رسول الله ﷺ بأنهم يتفحمون لا يتنافى مع أنهم يشعرون ويتكلمون، فالله يبقى عليهم الحياة مع إعمال النار فى أجسامهم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف : ٢٩) تأمل أحاطت النار بهم ومع ذلك يستغيثون ، إنهم لا يموتون ، إلا أن النار تعمل عملها فيهم فلا تناقض فى الحديث ، وإنما التناقض فى كلامك .

إن هذه الآية فيها : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ والحديث فيه أنهم يتفحمون ، والشوى والتفحم درجتان متقاربتان جدًا ، فلم الاعتراض على الحديث ؟

لست أدرى ماذا يريد الدكتور مصطفى ؟

أيريد أن ينفى عنهم تأثير النار فيهم لأنهم يتكلمون ؟ سبحان الله !!

إن الدار الآخرة شئونها تختلف عن شئون الدنيا ، فهم يحرقون فى النار ، ويتفحمون فيها لكن مع الإحساس والوعى ، ليتم العذاب .

* * *

المحترق الحى !!

عجبت لكاتب هذا المقال يدعى أننا شنقناه وحرقناه ، ومع ذلك هو حى يكتب !!

يقول فى مقاله الذى بعنوان « كلمة هادئة » والذى نشرته جريدة الأهرام التى صدرت فى القاهرة ١٩/٢/٢٠٠٠م ، يقول الدكتور مصطفى : إن القيامة التى أقاموها علينا باسم إنكار السُنة ،وإنكار الشفاعة قيامة ظالمة نحن أبرياء منها ، فما أنكرنا إلا المنكر فى الأحاديث ، وكل ما قلته فى كتابى « الشفاعة » كان محاولة لفهم الشفاعة لا أكثر ، ولم يكن هناك ما يدعو لكل هذه المشانق التى نصبوها والمحارق التى أشعلوها ، فما أردنا إلا تنقية السُنة من تحريفهم . . انتهى كلامه .

وأقول :

أولاً : ما قمنا به من إظهار أخطائك للناس ليس قيامة ظالمة ، وإنما هو جزء من قيامنا بما يوجبه علينا ديننا ، فقد أمر الله أهل العلم أن يبينوا للناس ، وتوعد سبحانه من لم يبين الحق :

● فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

(البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠)

● وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ (آل عمران : ١٨٧) .

● وقال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[١] .

فمن هذه النصوص قمنا بكشف أخطائك .

أما ادعاؤك هذا فلا يسلمه لك أحد ، فلقد بينا أخطاءك ، وأنك :

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان .

- تذكر من الآيات ما يوافق هواك ، تقتطع الآيات اقتطاعًا يوهم القارئ بصحة ما تذهب إليه بينما الآيات لا تفيد هذا .

- تقيم تعارضًا بين الآيات والأحاديث ، هذا التعارض تصطنعه اصطناعًا ، ولا أصل له فى حقيقة الأمر .

- وكذبت حديثًا على رسول الله ﷺ نصه : « من يترك العمل اتكالاً على الشفاعة يورد نفسه المهالك ، ويحرم من رحمة الله » كذبت هذا الحديث على رسول الله ﷺ ، ونبهتك فى ردى السابق عليك ، ولكنك لم ترجع ، وطبع كتابك الطبعة الثانية وفيها هذا الحديث [1] . . ومن هنا فلست بريئًا .

ثانيًا : ثم تقول : فما أنكرنا إلا المنكر فى الأحاديث .

وأتساءل : على أى أساس أنكرت ، وكيف حكمت على الأحاديث بأنها منكرة ؟ لقد أخذت الآيات الواردة فى الكفار ، فجعلتها كذبًا وزورًا فى المسلمين ، تدعى أن المسلم الذى سيدخل النار لن يخرج منها ، وتستدل بقول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٧) بينما الآية قبلها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٦ ، ٣٧) .

لقد أخذت الآية الثانية لتوهم القارئ أن لا خروج للمسلم من النار ، حتى تنكر الشفاعة، وتقيم تناقضًا بين أحاديثها وهذه الآية ، بينما الآية الأولى تبين أن عدم الخروج من النار إنما هو للكافرين .

ولما كتبنا وبينا للناس إذا بك تضيف فى الطبعة الثانية كلمة لا تقدم ولا تؤخر ، قلت : (وقيلت فى الكفار أيضًا) .

وأقول لك الآن : لقد أقمت معارضة بين هذه الآية ، وبين أحاديث

(١) فى ص ٧٧ .

الشفاعة ، بينما لا تعارض ، فالآية فى الكفار ، والشفاعة للموحدين ، فلا تعارض مطلقًا .

فلا يحق لك أن تقول إنك أردت إنكار المنكر ، لا ، وإنما أردت تضييع السُّنة ، وأنت عامد فى هذا بدليل اختلاقك حديثًا على رسول الله ﷺ !!

وفى حديث أبى سعيد الخدرى الذى تناولته فى مقالك الذى بعنوان « كلمة هادئة » جعلت هذا الحديث متعارضًا مع آيات دخول الجنة بالعمل الصالح ، ولا تعارض مطلقًا ، فالآيات فى المسلمين الصالحين ، يقال لهم : ادخلوا الجنة ، ومنازلكم فيها على حسب أعمالكم فأهل الصلاح المجتهدون فى طاعة الله ، وعلى وفق القرآن والسُّنة هؤلاء ينالون الدرجات العلا من الجنة ، والأقل منهم يكونون فى درجات أقل . المهم : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٣٢) : أى على حسب أعمالكم ، هذا فى الآيات .

لكن ماذا فى المؤمنين الذين لم يعملوا صالحًا ؟

إن حديث أبى سعيد بيّن حالهم ، وأنهم سيعذبون بسبب تقصيرهم ، ثم يخرجهم الله برحمته من النار ويدخلهم الجنة .

وعليه فالحديث لا يتعارض مع الآيات مطلقًا ، فالآيات فى الصالحين أما الحديث فيتكلم عمن آمنوا لكن لم يعملوا صالحًا .

إننا لو أخذنا بقولك وقلنا : إن عصاة المؤمنين سيدخلون النار ، ويؤبدون فيها لتعارض هذا مع :

• قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٠) .

• وقوله سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨) .

• وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ

أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (القارعة : ٦ - ١١) .

فمن ثقلت حسناته ، فهو فى عيش رغيد ، فى جنة عالية ، وأما من كانت حسناته خفيفة ورجحت سيئاته فأمه هاوية ، و« أُمه » هنا معناها : مرده ، ومرجعه ، سمى المرجع أُمًا تشبيهًا بأم الطفل ، دائما يأوى إليها ، فالذى رجحت سيئاته مرجعه هاوية ، و« الهاوية » اسم من أسماء جهنم ، أى سيعذب فى النار بقدر سيئاته .

إن قولك هذا يتعارض مع كثير من الآيات القرآنية التى تفيد أن حساب المسلمين بالحسنات والسيئات ، ويتعارض مع كثير من الأحاديث النبوية ، وعليه فأنت لم تنكر المنكر من الأحاديث ، وإنما رحت تنكر الصحيح ، وتتكلم بما يتعارض مع القرآن الكريم .

ثالثًا : **وتقول** : كل ما قلته فى كتابى الشفاعة كان محاولة لفهم الشفاعة لا أكثر .

وأقول :

١ - موضوعات الإسلام واضحة مفهومة ، فالإسلام دين أمة ، وفقت فى القيام بخدمته علميًا على خير وجه ، وموضوع الشفاعة مفهوم واضح ، ولَسْتَ مصدر معرفة للأمة ، فلقد كتبتَ فى تفسير القرآن الكريم ، وانتقدك العلماء ، وطبع رد الشيخ الجابرى ، وطبع رد الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ولو كنت تريد الحق لتوقفت عن الكتابة فى الموضوعات الإسلامية ، فلست مؤهلاً لها .

افهم لنفسك وكفى ، لكن لا تفرض خطأك على الأمة ، ولا تشكك الناس فى أمور دينهم ، فإذا فعلت فلا تغضب منا ، فما أردنا إلا وضع الأمور فى نصابها ، وتبيين الحق .

٢ - ثم أى محاولة لفهم الشفاعة ، وأنت تحكم بالشرك على كل من قال بالشفاعة [١] ؟

---

(١) ص ١١٢ ، ١١٣ من الطبعة الثانية .

إنك تكفر الأمة جميعًا قديمًا وحديثًا ، ولا ذنب للأمة ؛ فإنها تؤمن بما جاء فى القرآن الكريم ، وسُنة النبى ﷺ ، إنك تكفرهم لأنهم آمنوا بما جاءهم عن الله !! وهذا حالك !!

والعجيب أنك متناقض فى هذا الأمر ، فمرة تقول بالشفاعة ، ومرة تكفِّر من يقول بالشفاعة .

٣ - ولم تجعل كلامك فى الشفاعة فقط ، وإنما رحت تنكر السُّنة كلها[١] .

رابعًا : إنك تحكم على متبعى السُّنة بالشرك ، ثم تتباكى على نفسك وتقول : لم يكن هناك ما يدعو لهذه المشانق التى نصبوها والمحارق التى أشعلوها .. انتهى كلامه .

وأقول :

أين المشانق التى نصبناها ، وأين المحارق التى أشعلناها ؟ لو كان ذلك حدث ما كتبت ولا كنت .

وما تجرأت - وأمثالك - إلا لعلمك بأن المسلمين مسالمون .

وزادكم جرأة معرفتكم أن الكفر يعادى الإسلام ، والموجة الحالية أن من أراد كسب الجو فليكتب ضد الإسلام ، وصدق الله العظيم الذى قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٦ ، ٣٧) .

إن الإسلام دين الله ، وقد وعد سبحانه بنصرة دينه ، فاجترئوا ما شئتم ، فلن تبلغوا غايتكم .

---

(١) كما فى ص ١١٠ .

خامسًا : وتقول : إنك ما أردت إلا تنقية السُّنة من تحريفهم .
سبحان الله ! أنت الذى ستنقى السُّنة ؟

إن كتابتك تقول : إنك لست مؤهلاً لذلك ، فأنت لا تعرف شيئًا فى علم الدراية ، بل إنك تخطئ فى فهم ما تقرأ وهذا يجعلك لست أهلاً للقراءة فى كتب السُّنة .

ووالله ما أكتب إلا حرصًا على القارئ ، وحرصًا على أن تظل الأمور فى نصابها ، أما كتابتك فى حد ذاتها فلا تستحق الرد ، فإن زيفها من الوضوح بمكان .

ثم إن السُّنة ليست بحاجة إلى تنقية ، فهى علم أرسى على قواعد سليمة ، نقلت نصوصه على أسلم منهج علمى ، وبلغ من السلامة أن علماءه التقطوا ما يدعيه الكذابون ، فجمعوه وبينوا أنه مكذوب ليحذره الناس .

إن السُّنة علم له رجاله القائمون على تبيينه وتقريبه ، له رجاله الذين يقومون نحوه بكل ما يلزم ، فإذا وجدنا من يخطئ فى ساحة السُّنة نصحناه ، فإن لم يقبل بينّا للأمة .

والعجيب أنك تتهم أهل السنة قديمًا وحديثًا أنهم يحرفونها . سبحان الله !! تجنيت على النصوص ، وتجنيت على علماء السُّنة ، تستمرئ هذا أنت ومن معك من منكرى السُّنة ، ولا غرابة فى ذلك ، فالله قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾
(المطففين : ٢٩ - ٣٢)

سبحان الله ! المجرمون الكافرون إذا رأوا المؤمنين قالوا : إن هؤلاء لضالون .

وأعداء السُّنة هكذا يدعون على أهل السُّنة الكثير من الأباطيل ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ (البروج : ١٩ ، ٢٠) .

تعظيم القرآن والسنة :

ويقول الدكتور مصطفى : نحن نعظم كتاب الله ، ونعظم رسوله أكثر مما يعظمونه .

وهو فى المقال نفسه يدّعى أنه برىء من الكبر كل البراءة ، وإذا به هنا يوهم نفسه أنه يعظم كتاب الله أكثر من كل الأمة ، ويعظم رسول الله أكثر من كل الأمة !!

ونحن نتمنى له أن يوفق هو ومجموعته ممن يسيرون فى الخط المخالف للأمة .

لكنا نتساءل : من قال لك إنك تعظم كتاب الله أكثر من الآخرين ؟

ومن قال لك إنك تعظم رسول الله ﷺ أكثر من الآخرين ؟

إن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (النجم : ٣٢)

- إن إعظام كتاب الله تعالى إنما يكون :

١ - بقراءته قراءة سليمة ، وذلك بالأخذ عن أهل القرآن .

٢ - وبفهمه وفق قواعد التفسير التى نص العلماء عليها ، ومن لم تتوفّر فيه شروط المفسر فلا يحق له أن يفسر ، وإنما يقرأ للمفسرين الذين توافرت فيهم الشروط ، وجمعوا العلوم المؤهلة للتفسير ، من حفظ القرآن الكريم ، ومعرفة ظروف كل آية من أسباب نزولها ، ومعرفة العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والإحاطة باللغة العربية ، وبخاصة معانى الألفاظ ، وما يحيل المعانى ، وحفظ أحاديث رسول الله ﷺ ، ومعرفة حال كل حديث ، وملابساته ، ودقائق معانيه ، وأن تكون عنده ملكات التفسير وفق النص كما قال صلى الله عليه وسلم : « فرُبّ حامل فقه إلى

من هو أفقه منه ، ورُبّ حامل فقه ليس بفقيه »[1] .

ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال : « اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل »[2] .

ليس كل من قرأ وكتب يستطيع تفسير القرآن الكريم ، وإنما لذلك شروط مؤهلة ، ومن جرأة بعض المثقفين من أهل زماننا أنهم يتهورون فيقحمون أنفسهم فى مجالات علمية هم غير مؤهلين لها .

إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٣) .

و «العالِمُون » جمع عالم ، والعالم بالكتاب والسُّنة هو الذى يعقل عن الله ، ويدرك فى كتاب الله المعانى ، ويصل فى الآية إلى مراميها .

ورسول الله ﷺ يقول : « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »[3] .

ومن أعظم القرآن لا يتجرأ عليه ، وإنما يتقدم فى ساحته برفق ، فيتأهل للدرجة ، ثم يرقاها ، فلا يقرؤه بنفسه ، وإنما يتعلمه على شيخ ، فإذا أتقن قراءته جاز له حينئذ أن يؤم المصلين به ، وأن يعلمه الناس ، لكن إلى هذه الدرجة فقط ، درجة تعليم الآخرين ، لا يتعدى هذه الدرجة إلى التفسير .

وإنما إذا جمع الخمسة عشر علمًا المؤهلة للتفسير ، جاز له أن يفسر ، هذا شأن الذين يعظمون القرآن الكريم .

---

(١) أخرجه أبو داود فى العلم باب فضل نشر العلم (١٠/ ٩٤) ، وأخرجه الترمذى فى العلم باب فى الحث على تبليغ السماع (٧/ ٤١٥ - ٤١٧) وقال : حسن ، وأخرجه ابن حبان وغيرهم .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦ ، ٣١٤ ، وذكره فى الإصابة (٤/ ١٤٣) .

(٣) أخرجه الترمذى فى أول أبواب تفسير القرآن (٨/ ٢٧٧) ، وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أحمد ، والنسائى ، وابن جرير .

٣ – ومن إعظام القرآن الكريم العمل به ، فإنه كتاب الله أنزله هداية لخلقه ، فعلى كل الخليقة أن يؤمنوا به ، وأن يجتهدوا فى العمل به ، فكل ما أمر به الله فى كتابه فلنعمل به ، وكل ما نهانا الله عنه فى القرآن فلنجتنبه .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (الإسراء : ٩) .

أى يهدى للطريقة القويمة السليمة .

وقال سبحانه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (سورة ص : ٢٩) .

• وتعظيم رسول الله ﷺ ليس قولاً يُدَّعَى ، فمنكرو السُّنة والذين ينكرون قدر السنة النبوية ليسوا ممن يعرف قدر رسول الله ﷺ .

إن رسول الله ﷺ صاحب هَدْى ومنهج ربانى ، جاءنا به عن الله ، فمن سار على هديه ﷺ فقد اتبعه ووقره ، وهو من المؤمنين والصالحين ، أما من أعرض ولم يتبع هديه صلى الله عليه وسلم فهذا ليس من المؤمنين ولا من المعظمين ، ولا من المحبين ، مهما ادعى ، ومهما قال .

إن إعظام رسول الله ﷺ أن نتعلم سنته ، وأن نعمل بها ، وأن نعلمها الناس ، نقرّبها للعمل ، ونأخذ بيد الآخرين للعمل بها .

إن منكرى السُّنة يدّعون أنهم يعظمون رسول الله ﷺ أكثر من الأمة ، وهم الذين يكذبون الأحاديث عليه ، ويعتدون فى حق السُّنة ، يخدعون الأمة بذلك ، كى تقبل باطلهم ، وليتهم علموا أننا جميعًا محاسبون على كل ما تقترفه جوارحنا .

ينكرون مغفرة الله والقرآن !!

الدكتور مصطفى غضبان جدًا .

ومنكرو السُّنة جميعًا غاضبون جدًا .

لكن لماذا ؟

لأن الله سيغفر لعصاة المؤمنين يوم القيامة !!

يقول الدكتور مصطفى : وماذا يعنى كلامهم - أهل السُنة - ماذا يعنى أن تدخل الجنة أقوام بغير عمل عملوه ، أو خير قدموه ؟!! إلا فوضى المحسوبية التى صنعوها فى الدنيا ، وصورت لهم أهواؤهم أن تتكرر فى الآخرة لمصلحتهم . . (انتهى كلامه) .

وأقول له ولمنكرى السنة جميعًا :

١ - أى محسوبية صنعناها ؟ إنهم أُناس آمنوا بالله تعالى ، ولم يعملوا صالحًا ، يدخلون جهنم يعذبون بعض الوقت ، ثم يخرجهم الله برحمته ، فأى محسوبية فى هذا ؟

إن هذا الفريق من البشر الذين يتكلم عنهم حديث أبى سعيد الخدرى هم أُناس قد آمنوا ولم يعملوا صالحًا ، فلو ظلّوا فى النار كما يقول منكرو السُنة ، لكانوا قد ظلموا ، فإنهم قد توافر فيهم سبب من أسباب دخول الجنة وهو الإيمان ، ونقص سبب وهو العمل الصالح ، فعذبوا ثم دخلوا الجنة ، عذبوا لعدم العمل الصالح ، ودخلوا الجنة بالإيمان ، فأى محسوبية فى هذا ؟

• يقول الله تعالى فى الآية (٥٨) من سورة العنكبوت ، وهى من الآيات التى يستدل بها الدكتور مصطفى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ واضح أنهم ينعم الله عليهم بالجنة ، فهم مؤمنون وعملوا الصالحات ، سببان لدخول الجنة ، إلا أن أعداء السُنة يغمضون أعينهم عن السبب الأول وهو الإيمان كى يصنعوا تعارضًا بين الآيات والأحاديث .

• ويقول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (لقمان : ٨ ، ٩) ، وبالآية الأولى منهما يستدل الدكتور مصطفى ، وواضح أن الجنة

بالإيمان والعمل الصالح لكن الدكتور مصطفى اكتفى بذكر اسم السورة ورقم الآية ، ولم يذكر نص هذه الآية ولا نص آية العنكبوت ، ربما لوضوح سببى دخول الجنة فيهما ، وفى بقية الآيات - التى ادعى أنها ٣٥ وعند العَدّ ذكر ٢٥ فقط - ففيها جميعًا واضح أنهم يدخلون الجنة بسببين : الإيمان ، والعمل الصالح .

إن أى عاقل يتساءل : إذا كنتم تقولون بدخول العصاة النار ، وأنهم لا يخرجون منها فبماذا نفعهم إيمانهم ؟ إن المسألة ليست محسوبية ، ولا وساطة ، ولا كوسة كما يقول أعداء السُّنة النبوية ، الذين يريدون فقط إنكار حديث مغفرة الله للعصاة ، يريدون فقط إنكار أحاديث المغفرة ، كى يبطلوا السُّنة ، ويريدون إبطال السُّنة لهدم الإسلام !!

إن المسألة ليست محسوبية ، وإنما عدل الله ، أتجعلون من آمن بالله ، واعتقد وحدانية الله ، ولم يسجد لصنم ولا وثن ، ولا عبد غير الله ، أتجعلونه مع من عبد غير الله ؟

والله ما أردنا محسوبية ، ولا نحن بالذين نقبل المحسوبية ، وإنما هى نصوص القرآن والسُّنة ، فهمها أسلافنا على النهج السليم ، وفهمناها بحمد الله على النهج السليم ، فلما أراد أعداء الإسلام ومن شايعهم ضرب الأحاديث بالآيات رددنا عليهم ، ومهما قالوا عنّا فلن يثنينا ذلك عن كلمة الحق ، وعن البيان للمسلمين .

٢ - إن قولكم بدخول العصاة النار ، وأنهم لا يخرجون منها ، قول باطل ، وذلك للأسباب الآتية :

• قولكم هذا تعارضه الآيات التى تفيد مغفرة الله لمن لم يشرك به سبحانه ، يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء : ٤٨ ، ١١٦) .

• قولكم هذا تعارضة الآيات المفيدة مغفرة الله للمسلم مهما بلغ

ذنبه ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣) .

يقول الله تعالى : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ .
(الفتح : ٥)

• قولكم هذا تعارضه الآيات الدالة على تنزيه الله تبارك وتعالى عن الظلم ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٠) .

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ (يونس : ٤٤) .

ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف : ٤٩) .

إن قولكم بدخول عصاة المؤمنين النار تعارضه هذه الآيات وغيرها كثير ، وعليه فهو قول باطل ، وصاحبه ينكر آيات من القرآن الكريم ، وينكر الأحاديث الصحيحة ، عن سيد المرسلين ، وهذا أمر مخرج من الملة !! نسأل الله أن يثبتنا على الحق .

* * *

منكرو السُّنة يُجرُّون الأمة للفساد :

يقول الدكتور مصطفى : ألا تعنى هذه الكلمات - القول بمغفرة الله لعصاة المسلمين - غواية وإغراء لكل نفس ضعيفة بألاَّ تعمل ، وبألاَّ تجتهد ، ألا تعنى دعوة صريحة إلى اللامبالاة ، والإغراء فى اللهو والعبث ، والفساد والإفساد ، ففى الآخرة مصيرهم أن يكونوا عتقاء يمرحون فى الجنة بلا عمل عملوه ، وبلا خير قدموه . . (انتهى كلامه) .

وأقول :

القول بمغفرة الله لعصاة المؤمنين لا يعنى إغراء للنفوس الضعيفة ألاَّ تعمل ، لا ، فإنا لم نقل إن لهم الجنة من أول الأمر ، وإنما نقول بما جاءنا به رسول الله ﷺ عن الله عز وجل ، وأنهم أى عصاة المسلمين سيدخلون النار أولاً ، ثم يخرجهم الله برحمته من النار ، ويدخلهم الجنة ، وهذا لا يغرى بعدم العمل ، وإنما يغرى بالعمل ، فمن يصبر على النار ولو للحظة !؟

أترى العلم بمغفرة الله يجعل الناس يفعلون المعاصى ؟ لا ، وألف لا ، إن الله سيدخل العصاة النار أولاً ، وهذا كاف لردع كل من تسول له نفسه المعصية .

تقول : فى الآخرة مصيرهم أن يكونوا عتقاء يمرحون فى الجنة . . (انتهى كلامه) .

وأقول : ولماذا لا تقول إنهم سيدخلون جهنم أولاً ، فانتبهوا يا عقلاء ، واجتهدوا فى عمل الخير ؟

إن الأمل بمغفرة الله لا يدعو إلى اللامبالاة ، وإنما يقطع اليأس ويدعو إلى العمل الصالح ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣) .

تأمل قوله سبحانه ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ أى لا تيأسوا من رحمة الله ، أغلق باب اليأس ، وفتح باب الرجاء ، نزع اليأس وغرس الأمل فى مغفرته عز وجل حتى تتقوى النفوس ، وتنهض إلى الطاعة والاستقامة .

إن قول منكرى السُّنة بأن لا مغفرة ، وأن عصاة المسلمين مؤبدون فى جهنم . . هذا **قول مدمِّر** ، فهو مخالف لنصوص الكتاب والسُّنة ، وهو يجر الناس إلى الفساد ، فمن من الناس لم يعص ، فما أكثر زلات اللسان ! والكسب المشبوه كثير ، وتأخير الصلاة عن وقتها معصية ، وعلى قولهم فكل من زل قدمه بمعصية لا أمل له فى رحمة الله ، وإنما هو فى النار مؤبد ! !

هذا **قول مدمِّر** ، يدفع الأمة إلى اليأس دفعًا ، ويجرها إلى الفساد بقوة .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تعطى معنى فى غاية الدقة والعظمة ، فالمسلم يعيش :

- حريصًا على الطاعات فهى مع الإيمان طريق الجنة .
- مبتعدًا عن المعاصى ، فهى تغضب الله ، وإن كثرت تورث النار .
- إن زلت قدمه بمعصية ، فالحساب أمام الله بالميزان ، فعليه أن يسارع بالإقلاع عن الذنب ، وتكفيره بالطاعة .

وهكذا يظل المسلم متوجهًا إلى الطاعات ، مبتعدًا عن المعاصى والشرور ، مما يقتلع جذور الشر من الأمة ، ويشيع الخير والفضيلة فيها .

وسؤال أسأله لمنكرى السنة :

لماذا ترفضون مغفرة الله ورحمته للعصاة ؟

- ألم يقل الله ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الحجر : ٤٩) .
- ألم يقل الله : ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ (الكهف : ٥٨) .
- ألم يقل الله : ﴿ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النمل : ١١) .

- لقد ورد اسم « الغفور » أكثر من مائة مرة فى القرآن الكريم .
- لقد ورد اسم « الرحيم » أكثر من مائة مرة فى القرآن الكريم .
- لقد ورد اسم « الرحمن » أكثر من خمسين مرة فى القرآن الكريم .

وكل هذا من الآيات وأسماء الله سبحانه يحتم أنه سبحانه سيغفر للعصاة من المسلمين وسيرحمهم ، وهذا عين ما أفاده حديث أبى سعيد الخدرى ، مما يحتم قبول الحديث .

* * *

تناقضه فى الشفاعة :

القارئ لمنكرى السُّنة يجد من تناقضهم الفكرى الكثير والكثير !!

وها هو الدكتور مصطفى يعترف فى هذا المقال بالشفاعة ، ثم ينكرها فى نفس المقال .

يقول : والفقهاء الملتزمون شرطوها بالإذن الإلهى ، والتزموا بالنص القرآنى ، ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ (يونس : ٣) .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (الأنبياء : ٢٨) .

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ (سبأ : ٢٣ .

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ .
(طه : ١٠٩)

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (النجم : ٢٦) .

﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر : ١٨) .

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ (الزمر : ٤٤) .

وأكثر آيات القرآن تنفى الشفاعة بمعنى الوساطات والمحسوبيات التى نعرفها فى الدنيا ، وتسندها لله وحده .. (انتهى كلامه) .

وأقول :

يعترف بالشفاعة ويذكر كثيرًا من الآيات التى تثبتها ، ثم يناقض نفسه فيقول : أكثر آيات القرآن تنفى الشفاعة .

سبحان الله !! هذا تناقض عجيب ، ولست أدرى ما الذى أدخل الوساطات فى الآيات ؟ إنه التخبط الفكرى العجيب .

ويقول : الفقهاء الملتزمون شرطوها بالإذن الإلهى .

وأقول : كون الشفاعة بالإذن الإلهى هذا ليس من قول البشر ، وإنما من قول الله تعالى ، كما هو واضح من الآيات السابقة والأحاديث ،

وسلم بذلك كل العلماء وكل الأمة عملاً بالآيات والأحاديث .

أما قوله : أكثر آيات القرآن تنفى الشفاعة بمعنى الوساطات والمحسوبيات التى نعرفها فى الدنيا .

فأقول له : أين هذه الآيات ؟ إنه لا علاقة بين الشفاعة والوساطات ، الشفاعة هى دعاء ورجاء ، تضرع إلى الله وبكاء ، يتضرع العباد الصالحون ويسألون الله الرحمة لإخوانهم ، فلا وساطات ولا محسوبيات .

• وأتساءل مع هذا الكاتب سؤالاً : إنك تعترف فى هذا المقال بالشفاعة ، وفى كتابك « الشفاعة » تحكم على من قال بالشفاعة بأنه مشرك ، فما معنى ذلك !؟

* * *

خطأ فى حق الله !!
أو
دعوة للفكر !!

وفى مقاله فى جريدة الأهرام ، والذى بعنوان « كلمة هادئة » يقول الدكتور مصطفى محمود عن الله سبحانه وتعالى « هو الباب » وهذا اللفظ باطل تمامًا ، ويزيده فداحة وشؤمًا أنه فى حق الله سبحانه وتعالى ، فالله جل جلاله لا يجوز لنا أن نسميه إلا بما سمّى سبحانه وتعالى به نفسه فى القرآن الكريم ، أو سماه به رسوله ﷺ فى سنته .

واستعمال مصطفى محمود هذا اللفظ فى حق الله أحد أمرين :

١ - فإما أنه لم يدرس العقيدة الإسلامية فاستعمل هذا اللفظ خطأ فى حق الله سبحانه وتعالى ، وفى هذه الحالة فعليه أن لا يكتب فى الأمور الإسلامية ، فإنه ليس أهلاً لها ، وإن كتب فلن نقرأ له ، فليس كل ما يكتب يقرأ .

٢ - وإما أنه من جماعة الباطنية ، وهم مجموعات من البشر تعبد شخصًا منها ، يلقبونه بالباب ، ويضفون عليه من الألقاب والصلاحيات الكثير والكثير فإن كان الدكتور مصطفى من هؤلاء فلن نقبل له قولاً ، ولن نعيره اهتمامًا .

إننى لست حريصًا على تجريح أحد ، ولقد سبق أن رددت على مصطفى محمود فى كتابين لى فى إنكاره الشفاعة ، وفى إنكاره السُّنة ، لم أجرحه ، ولم أحكم عليه بكفر ، وعلى الرغم من أنه رمى كل من يؤمن بالشفاعة بالشرك إلا أننى نزهت قلمى عن ذلك .

إلا أن هذه السقطة والتى هى إطلاق لفظ (باب) على الله آلمتنى كثيرًا ،

وبخاصة أننى أذكر أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن والملقبة بـ « بنت الشاطئ » قد أثبتت فى كتابها الذى ترد فيه على الدكتور مصطفى محمود فى تفسيره القرآن الكريم أثبتت أن الدكتور مصطفى على ديانة هذه المجموعة ، وكتابها فى عقد السبعينات .

ويعنينى القارئ المسلم ، ويهمنى أن أُبيِّن أن إطلاق هذه الكلمة على الله تعالى لا يصح شرعًا ، وإن أُبيِّن أيضًا أن هذه اللفظة لها خلفية دينية هى الكفر بعينه ، فهى ديانة مجموعة من البشر يؤلهون شخصًا منهم .

عبارات سقيمة :

ومقال الدكتور مصطفى شأن بقية كتاباته التى قرأتها ملئ بالعبارات السقيمة والعبارات غير المستقيمة ، ومن أمثلة ذلك :

- قوله : وأخون أمانة القرآن فى عنقى .
- وقوله عن الرسول ﷺ : هو الذى يشفع وجودك ، ويدخل بك إلى الحضرة الإلهية .
- وقوله عن الله سبحانه وتعالى : هو الذى سيمكّنك من عملك النافع والخير أوْ لا يمكنك .
- وقوله أيضًا عن الله عز وجل : وهو الذى سيمكّنك من التوبة أوْ لا يمكّنك .
- وقوله : فدنيا الله كلها حب ، ولا خصومة فيها ولا خلاف ، وإنما الحق والحق وحده .

* * *

الرد على الطبعة الثانية لكتاب الشفاعة

حينما نشرت جريدة الأهرام القاهرية مقالات الدكتور مصطفى محمود[1] التى أنكر فيها الشفاعة ، وأنكر فيها السُّنة ، وادعى أن عصاة المؤمنين سيخلدون فى النار أبدًا ، حينما حدث ذلك رد عليه الكثيرون من العلماء ، ما بين ردود فى كتاب ، وردود فى الصحف ، وردود فى الإذاعة ، وردود فى التلفاز ، وبعد أن صدرت هذه الردود قام بجمع المقالات وطبعها فى كتاب بعنوان الشفاعة ، وفيه لم يستجب لنصيحة من نصحوه بالرد عليه ، وبعد فترة طبع كتابه طبعة ثانية حاول أن يتملص من الردود ، لكن دون الاعتراف بالحق .

١ - الإصرار على عدم خروج المؤمنين من النار :

يستدل الدكتور مصطفى فى كتابه الشفاعة على خلود المؤمنين فى النار بآيات وردت فى الكفار مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٦ . ٣٧) .

أخذ الدكتور مصطفى الآية الثانية من هاتين الآيتين ، واستدل بها على أنه لا خروج من النار ، بينما الآية الأولى من هاتين الآيتين نص صريح واضح فى أن هذا فى الكافرين ، فالكافرون هم الذين لن يخرجوا من النار .

---

(١) نشرت هذه المقالات فى جريدة الأهرام فى الفترة من ٣/ ٤/ ١٩٩٩ إلى ١٢/ ٦/ ١٩٩٩م ولقد طلبت من هذه الجريدة نشر الرد عليه فأبى القائمون عليها ، فطبعت الرد فى رسالة صغيرة بعنوان : « الرد على الدكتور مصطفى محمود فى إنكار الشفاعة ، والرد على لواء محمد شبل فى إنكار يوم عرفة ، ثم أتبعتها برسالة أخرى بعنوان : « دفع أباطيل الدكتور مصطفى محمود فى إنكار السنة النبوية » والكتابان من طبع دار الاعتصام .

ولما رُدّ عليه بهذا لم يقبل النصح ، وإنما أعاد طبع الكتاب ، وذكر هذه الآيات الواردة فى الكفار ، لكنه أضاف بعدها عبارة مبتورة [وقيلت فى الكفار] وراح يدعم ما يذهب إليه من خلود عصاة المسلمين فى النار خلودًا مؤبدًا ، وأنهم لن يخرجوا منها !

وارتكب فى سبيل ذلك عدة مغالطات ، كل واحدة عكسٌ لحقيقة من الحقائق :

المغالطة الأولى :

جعل المسلم منافقًا !!

حينما فَنّد الذين ردوا عليه أدلته فى إنكار الشفاعة ؛ وبينوا أن الآيات التى ساقها ، والتى فيها عدم الخروج من النار إنما هى فى الكفار ، راح يستدل بالآيات التى فى المنافقين على أن المسلمين لن يخرجوا من النار ، فذكر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء : ١٤٥) .

يستدل بهذا على خلود المسلمين فى النار ! سبحان الله !!

الآية فى المنافقين لكنه يجعلها فى المسلمين .

المنافق كافر ، لكنه يجعل المسلم منافقًا ، أى أنه يجعل المسلم كافرًا ، إنه فى طبعة كتابه الأولى جعل المسلم مساويًا للكافر ، وأطلق عليه الآيات الواردة فى الكافر .

وفى الطبعة الثانية جعل المسلم كافرًا ، فكانت الطبعتان مجموعة مغالطات ، فمصير المسلم غير مصير الكافر ، والمسلم ليس منافقًا ، ومن نافق من المسلمين بمعنى أنه يضمر الكفر ويظهر الإسلام فهذا ليس مسلمًا ، وإنما هو منافق .

وتجده يحشر كلمات من عنده فى الآية ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ فيحشر هو كلمة [المسلمين]

ويقول : ولكن القرآن يعود فيقول نفس الكلام عن المسلمين المنافقين ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ تأمل !! الآية فى المنافقين لكنه آضاف كلمة المسلمين ، حتى يجعل الآية فى المسلمين .

إن الكثير من آيات القرآن الكريم توضح أن المنافق كافر :

• يقول الله تعالى عن المنافقين : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون : ٣) .

• ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء : ٦١) .

• ويقول سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (التوبة : ٦٨) .

• ويقول سبحانه : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا وَمُبَشِّـرًا ﴾ (الفتح : ٥ ، ٦) .

واضح من هذه الآيات أن المنافق كافر ، وعليه فلا يصح مطلقًا أن تطبق الآيات الواردة فى المنافقين على المسلمين . إن الآيات هنا توضح أن المنافقين مع الكافرين ، وأنهم عكس المؤمنين ، فالمؤمنون لهم الجنة يفوزون بذلك فوزًا عظيمًا ، أما المنافقون والكافرون فهؤلاء الظانُّون بالله ظن السَّوْء ، هؤلاء الذين ضلت قلوبهم ، جهنم خلقت لهم « وأعد لهم جهنم » .

إن هذه الحقيقة ما كانت تحتاج إلى مناقشة ، فالكل يعرف أن المنافق الذى يظهر الإسلام ويبطن الكفر إنما هو كافر ، فالنفاق مخالفة الباطن للظاهر ، هذا معناه اللغوى ، فإن كانت المخالفة فى الاعتقاد بأن تظاهر

بالإسلام وأبطن الكفر - فهو نفاق كفر ، وإن كانت المخالفة فى العمل بأن اعتقد أن الصدق خلق إسلامى لكنه يكذب فهذا نفاق عمل ، وهو لا يكفِّر وإنما يفسِّق .

والآيات الواردة فى النوع الأول كثيرة فى القرآن الكريم ، ونفاق العقيدة هو المراد عند الإطلاق .

وعليه فما كان الأمر يحتاج إلى مناقشة ، لكن ماذا وأعداء السُّنة يستدلون بما ورد فى المنافقين فيجعلونه على المسلمين ؟!

المغالطة الثانية :

ويستدل الدكتور مصطفى على أن المسلم سيخلد فى النار ولن يخرج منها ، يستدل على ذلك :

• بقول الله سبحانه وتعالى - بعد آيات الميراث : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

(النساء : ١٣ ، ١٤)

إنه يستدل بالآية الثانية على تأبيد المسلم فى النار والآية لا ذكر فيها للمسلم ، وإنما هى مقابلة بين ضدَّين ، فمن يطع الله ورسوله فيقبل حكم الله فى المواريث - وفى غيرها - بكل رضى وطواعية فهو من أهل الجنة ، أما من لم يقبل حكم الله ، واعترض فهذا له النار مؤبدًا فيها ، لأنه لم يقبل حكم الله ، فيكفر بذلك .

يقول الإمام الطبرى (متوفى سنة ٣١٠ هـ) : فإن قال قائل : أو يخلد فى النار من عصى الله ورسوله فى قسمة المواريث ؟ قيل : نعم ، إذا جمع إلى معصيتهما فى ذلك شكًّا فى أن الله فرض عليه ما فرض على عباده فى

هاتين الآيتين ، أو علم ذلك فحادّ[1] الله ورسوله فى أمرهما .

ثم ساق الطبرى سبب الآيتين ، وأن جماعة من المنافقين لم يقبلوا ما أنزل الله فى تقسيم التركات ، وقالوا : أيُوَرِّثُ الله من لا يركب الفرس ، ولا يقاتل العدو ، ولا يحوز الغنيمة نصف المال ، أو جميع المال[2] ؟!

واضح من كلام شيخ المفسرين الطبرى أن المعصية فى هذه الآية ، إنما هى بعدم الرضا بشرع الله ، وعدم التسليم بما قضى سبحانه وتعالى ، وهذا أمر يكفر فاعله .

وواضح أيضًا أن الآيتين نزلت فى المنافقين .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى : ﴿ ويتعد حدوده ﴾ قال : من لم يرض بقسم الله ، وتعدى ما قال[3] .

وعن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى : ﴿ يدخله نارًا خالدًا فيها ﴾ قال : يخلد فيها بكفره بقسمة المواريث ، وله عذاب مهين[4] .

• وواضح أن الآية : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ واضح أن هذه الآية ليست فى المسلمين ، وإنما هى فيمن لم يقبل حكم الله ، وفارق كبير بين من يرفض حكم الله ، وبين من يقبله لكن زلت قدمه ، فمن رفض حكم الله وقال : إن غيره أحسن منه ، ووزع التركة برأى يراه أحسن من حكم الله فهذا كافر ، وهو المعنىُ فى الآية ، وسبب نزولها يؤيد هذا ، ومقابلتها بالآية السابقة عليها فيمن يقبل حكم الله يؤيد هذا أيضًا ، أما من قَبِل حكم الله تعالى ، لكنه جار بعض الشىء فى تقسيم التركة فهذا عاص وليس بكافر .

وفى الآية شىء آخر يدل على أنها ليست فى المسلم ، هذا الشىء هو

(١) عاند ولم يقبل .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، والمشهور باسم تفسير الطبرى (٤/ ٢٩١) .

(٣)،(٤) أخرجهما ابن أبى حاتم فى تفسير الآية (١٤) من سورة النساء (٣/ ٨٩٢) .

قول الله تعالى : ﴿ ويتعد حدوده ﴾ إن المسلم لم يتعد حدود الله كلها ، وإنما هو واقف عند بعضها ، أما الكافر والمنافق فهؤلاء متعدون حدود الله كلها ، فهم الذين تشملهم الآية .

إن المسلم على الأقل واقف عند حد التوحيد ، فهو موحدٌ ، وبالتالى فليس داخلاً تحت الآية .

وبذا يبطل استدلال منكرى السُّنة بهذه الآية على تخليد المسلم فى النار .

وأسوق آية أخرى فد يستدلون بها فى المستقبل على تخليد المسلم فى النار ، هذه الآية هى :

قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ .

(الجن : ١٩ - ٢٣)

إن منكرى السُّنة فى سبيل إثبات أن المسلم العاصى سيؤبد فى جهنم قد يأخذون جزءًا من الآية (٢٣) وهو قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ يأخذون هذا ويستدلون به على مُدَّعاهم ، ولقد سقت ما قبل هذا الجزء ليظهر أن هذا فى شأن الكافرين .

ومعنى الآيات : إنه لما قام محمد ﷺ يدعو الله ويوحده تجمع عليه شياطين الإنس والجن جماعات كالشىء المتلبد الذى اجتمع بعضه فوق بعض ، قال الله لرسوله : قل لهم إننى أدعو إلى توحيد الله ولا أشرك به أحدًا ، قل لهم إنى لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ، وقل لهم : إنى لن يحفظنى من الله أحد إن عصيته ، ولن أجد ملجأ ألجأ إليه غيره سبحانه ، إن كل ما عندى هو تبليغ رسالة الله إليكم ، ومن لم يقبل هذه الرسالة فإن نهايته الخلود المؤبد فى النار .

وواضح من معنى الآيات أن الآية ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ واضح أن هذا فى الكفار ، أردت أن أوضحه حتى لا يلبِّسوا به على الناس .

يقول الطبرى : ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ، ويكذب به ورسوله فجحد رسالاته ، فإن له نار جهنم يصلاها ، ماكثين فيها أبدًا إلى غير نهاية [١] .

المغالطة الثالثة :

ويستدل منكرو السُّنة على أن المسلم سيؤبد فى النار بقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٩٣) .

يستدلون بقوله سبحانه فى القاتل ﴿ فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ﴾ على أن المسلم القاتل لمسلم آخر سيؤبد فى النار ، وهذا استدلال باطل لما يلى :

١ - الخلود فى الآية ليس موصوفًا بالتأبيد ، وبالتالى فمعناه المكث الطويل ، فمعنى الآية : إن القاتل المتعمد جزاؤه جهنم يمكث فيها طويلاً .

ولم يرد فى القرآن الكريم دخول المسلم النار مع وصف الخلود والتأبيد ، وإنما جاء وصف الخلود والتأبيد فى النار للكفار فقط .

• قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ .
(النساء : ١٦٧ - ١٦٩)

• وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥) .

• وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٢١) .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ .

(الجن : ١٩ - ٢٣)

وسياق الآيات واضح أن المعصية هنا إنما هى الكفر ، لا أى معصية .

وجاء وصف الخلود والتأبيد فى الجنة للمؤمنين فقط :

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾

(النساء : ٥٧)

وورد ذلك فى الآية ١٢٢ من سورة النساء .

وفى الآية ١١٩ من سورة المائدة .

وفى الآية ٢٢ ، و ١٠٠ من سورة التوبة .

وفى الآية ٩ من سورة التغابن .

وفى الآية ١١ من سورة الطلاق .

وفى الآية ٨ من سورة البينة .

٢ - ورد فى القرآن الكريم آيات تبين أن كل الذنوب تغفر ماعدا الشرك ، وبالتالى فالمؤمن لن يؤبد فى النار :

- قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء : ٤٨ ، ١١٦) .

إن هذه الآية تبين أن الخلود للقاتل فى جهنم ، إنما هوالمكث الطويل ، وليس الخلود على سبيل التأبيد .

- وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن

رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

(الزمر : ٥٣)

إن هذه الآية مع الآية السابقة تدلان على أن الله يغفر الذنوب كلها إلا الشرك ، وعليه فالقاتل لا يؤبد فى النار ، فإنه مسلم موحد ، ولكنه يعاقب بالمكث الطويل ، ثم نهايته إلى الجنة .

مغالطة لا تحتمل :

الإصرار على الكذب على رسول الله ﷺ !!

ولقد جاء فى مقالات الدكتور مصطفى محمود والتى نشرت بجريدة الأهرام حديث كذبه على رسول الله ﷺ ، ونصه : (من يترك العمل ، ويتكل على الشفاعة يورد نفسه المهالك ويحرم من رحمة الله) وجاء هذا الحديث فى كتابه الشفاعة والذى نشرته أخبار اليوم .

ولقد رددت عليه ورد كثيرون غيرى ، ونبهته إلى أن هذا الكلام ليس من أحاديث رسول الله ﷺ ، وقلت إنه من كذبك على رسول الله ﷺ ، وقلت إنه لا يمكنك أن تذكر له أى مصدر [1] إلا أنه - وللأسف - لم يرجع وأعاد طبع الكتاب ، وفيه هذا الكلام الذى كذبه على رسول الله ﷺ [2] !!

ومن حق القارئ أن يتساءل :

ما هذه الجرأة عند هذا الكاتب ، حتى إنه يكذب على رسول الله ﷺ ، وينبه فلا يرجع !؟

لكنه سيجد التساءل أكثر حينما يقرأ مغالطاته فى تاريخ السُنة النبوية ، وما يصوره وكأنه إشكال بين الأحاديث النبوية والآيات القرآنية .

وهذا شأن منكرى السُنة :

---

(١) راجع آخر ردى عليه فى « الرد على الدكتور مصطفى محمود فى إنكار الشفاعة » .

(٢) راجع ص ٧٧ من كتابه « الشفاعة » .

جرءاء على كتاب الله تعالى .

جرءاء على حديث رسول الله ﷺ .

يُجرِّحون أئمة الأمة وعلماءها .

يغالطون ويزوِّرون .

وامتاز عنهم الدكتور مصطفى محمود بالجرأة على الله تعالى ، فأخطأ فى حق الله !

ونحن نبرأ إلى الله منهم ، ونرجو للأمة أن تحذرهم ، وأسأل الله الكريم أن يثبتنا والمسلمين على الحق .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين والحمد لله رب العالمين .

* * *

وختامًا :

فواضح مما سبق أنّ حديث أبى سعيد الخدرى ، والذى فيه أن الله تبارك وتعالى يخرج عصاة المؤمنين من النار ، ويدخلهم الجنة ، واضح أن هذا الحديث صحيح ، وأنه تؤيده الآيات القرآنية الواردة فى مغفرة الله لعباده ، والآيات المفيدة أن الله لا يظلم الناس شيئًا ، فعصاة المؤمنين لهم ميزة التوحيد ، وهذه حسنة لها قدرها العظيم عند الله تبارك وتعالى .

إنه حديث صحيح ، بل فى أعلى درجات الصحة ، يتفق مع الآيات القرآنية ، فتعضده وتقويه .

ولا وجه مطلقًا لمن يقيم تناقضًا بينه وبين آيات من القرآن الكريم ، فما جاء ذلك إلا من عدم التخصص ، والقراءات المنحرفة ، وربما زيغ القلوب .

إن علماء السُنة قد قاموا بخدمتها من كل ناحية ،وما يحاوله البعض من تشويه صورة سُنة النبى ﷺ ، فمرد ذلك إلى انحراف فكرهم ، فإن السُّنة فى ذاتها قد تهيأ لها كل أسباب الحفظ والعناية ، فهى بحمد الله سليمة قويمة ، كما أوحاها الله تبارك وتعالى إلى رسوله ﷺ ، لم يدخلها ما ليس منها ، ولم يضع حرف منها .

إن من يدرس تاريخ السنة النبوية يثق فيها كل الثقة ، وأعداء الإسلام ينتهزون قلة علم البعض بتاريخ السُّنة ، فيحاولون تشويه صورتها ، وما علموا أن ذلك باب خير عظيم على السُّنة ، يثيرون الشبه ، فيقرأ الناس فى تاريخ السُّنة فيزدادون إعظامًا لها .

ومن فضل الله تعالى أن أعداء السُّنة حينما يكتبون يرتكبون فى كتاباتهم أخطاء جسيمة تعرف المسلمين بحقيقتهم ، وتعرّى للناس جهلهم ،

فمن كاذب على رسول الله ﷺ ، ومن متجرئ على الله ، ومن منكر للبدهيات ، ومن متطاول بألفاظ بذيئة على كبار شخصيات الأمة ، وكل ذلك قد أبان بحمد الله شخصيتهم ، وكرّه الناس فيهم .

وعلماء الأمة بخير والحمد لله يذودون عن حياض السُّنة ، ويبيِّنون تاريخها المشرق ، وصحتها وثبوتها ، وأنها العلم الذى أولته الأمة مع القرآن كل عناية ، وقامت نحوهما بكل ما يجب .

إن السُّنة النبوية محل عناية علماء الأمةُ فى كل زمان ومكان يبذلون فى سبيل خدمتها كل جهد .

والأمة مقبلة على السُّنة بأمر الله لنا : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1] وبقوله سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2] وبتحذيره سبحانه وتعالى إيانا من مخالفة رسوله ﷺ ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

أقبل عليها العلماء خدمة ونصحًا وعملاً .

وأقبلت عليها الأمة نصحًا وعملاً .

والكل بالقرآن والسُّنة فى أعلى درجات الحفاوة .

والكل بالقرآن والسُّنة فى أعلى درجات الاقتداء والتعظيم .

نسأل الله التوفيق والسداد .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) سورة الحشر الآية : ٧ .   (٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٣) سورة النور الآية : ٦٣ .

كتب للمؤلف

١ - المدخل إلى السنة النبوية « بحوث فى القضايا الأساسية عن السنة النبوية » طبع دار الاعتصام .

٢ - مسند على بن الجعد - أحد شيوخ البخارى - نشرته مكتبة الفلاح بالكويت - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

٣ - السنة النبوية : مكانتها ، وعوامل بقائها ، وتدوينها - طبع دار الاعتصام .

٤ - طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ - طبع دار الاعتصام .

٥ - طرق تخريج أقوال الصحابة والتابعين - ويطلب من دار الاعتصام .

٦ - علم الجرح والتعديل قواعده وأئمته - طبع المؤلف - ويطلب من دار الاعتصام .

٧ - السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسُّنة - طبع نهضة مصر ،وطبع المؤلف .

٨ - كيف نصوم رمضان - طبع دار الاعتصام .

٩ - رسالة إلى كل مريض - طبع دار الاعتصام .

١٠ - الرد على الدكتور مصطفى محمود فى إنكار الشفاعة ، والرد على اللواء محمد شبل فى إنكار يوم عرفة - طبع دار الاعتصام .

١١ - دفع أباطيل الدكتور مصطفى محمود فى إنكار السنة النبوية - طبع دار الاعتصام .

١٢ - دفع الشبهات عن السنة النبوية « تحت الطبع » .

١٣ - معجزات الرسول ﷺ التى ظهرت فى زماننا « تحت الطبع » .

فهرس الكتاب

الموضــوع	الصفحة
• تقديم	٣
• الرد على إنكارهم حديث أبى سعيد الخدرى	٥
نص الحديث	٥
الرد عليهم إجمالاً	٧
الرد عليهم تفصيلاً	٧
أصناف الناس فى الآخرة	٧
لا تعارض بين الحديث والآيات	١٠
آية تقوى حديث أبى سعيد	١١
• وآيات تقوى هذا الحديث :	١٢
١ - الإيمان هو الأصل فى دخول الجنة	١٢
٢ - آيات رتب الله فيها الخير الكثير على الإيمان	١٤
٣ - بالإيمان يُطلب رضى الله	١٥
٤ - بالإيمان يرفع الله الدرجات فى الجنة	١٦
٥ - آيات مغفرة الله للمذنبين	١٧
٦ - آيات تثبت أن النار للكفار	١٨
٧ - آيات تعطى المسلم الأمل فى رحمة الله	١٩
إنهم مؤمنون فلن يؤبدوا فى جهنم	٢٠
• بطلان رفضهم الحديث	٢٣
الرد عليهم إجمالاً	٢٣
الرد عليهم تفصيلاً	٢٤
• مغالطاتهم فى تاريخ السنة	٢٨

الموضوع	الصفحة
• الرد على ادعائهم تحريف السُّنة	٢٩
صور من تمكن المحدثين العلمى	٣٠
صورة من قوة تحملهم	٣٤
صورة من استقصائهم فى بحوثهم	٣٦
صورة من عمق فهمهم	٣٨
الرد على ادعائهم وجود الموضوع فى السُّنة	٤١
معرفة المحديثن صحيح الحديث من سقيمه	٤٣
معرفتهم علة الحديث	٤٥
معرفتهم بمرويات كل محدث	٤٥
معرفتهم طرق كل حديث	٤٦
لا موضوع فى السُّنة	٤٩
ونحن على الأثر	٤٩
• الرد على ادعائهم تناقض الحديث	٥١
المحترق الحى !!	٥٣
لماذا نرد عليهم ؟	٥٣
الرد على كتابه ومنهجه	٤٦
السر فى جرأتهم	٥٧
ادعاء كاذب	٥٨
تعظيم القرآن والسنة	٥٩
ينكرون مغفرة الله والقرآن	٦١
يجرُون الأمة للفساد	٦٥
تناقضه	٦٨
خطؤه فى حق الله	٧٠

الموضوع	الصفحة
الرد على الطبعة الثانية لكتابه	٧٢
المغالطة الأولى : « جعله المسلم منافقًا »	٧٣
المغالطة الثانية : « ادعاؤهم عدم خروج المسلم العاصى من النار »	٧٥
المغالطة الثالثة : « إدعاؤهم تأبيد المسلم فى النار »	٧٨
المغالطة التى لا تحتمل	٨٠
وختامًا	٨٢
الفهرس	٨٥

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٩٨٥/ ٢٠٠٠

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١